الطبيعة في شعر البحتري

علامات التصيير

تأليف
الدكتور
عبد الهادي عبد النبي علي أبو علي
استاذ الأدب والنقد المساعد
بكلية اللغة العربية بالمنصورة
جامعة الأزهر

١٤٠٩ هـ ١٩٨٨

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، خلق الانسان وعلّمه البيان والصّلاة والسّلام على سيّد النبيين وأفضل خلق الله اجمعين ، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين أديب الأدباء وأبلغ البلغاء وأفصح من نطق وأبرع من تكلم وتحدث فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته والتابعين وكل من آمن به الى يوم الدين.

وبعد :

فهذا بحث موضوعه : " الطبيعة في شعر البحتري " وهو موضوع يتناول شعر الطبيعة عند الشاعر ويكشف الموضوعات التي تناولها الشاعر في شعره الطبيعي ويوضح البصمة التي تركها الشاعر في هذا الموضوع الشعري وهل أضاف جديدا فيه أم لا ؟ كما يوضح مكانة الشاعر ومنزلته وجهده في شعر الطبيعة.

ومصادر البحث ومراجعه كثيرة منها القديم ومنها الجديد كان أهمها : " ديوان البحتري ودواوين بعض الشعراء الآخرين الذين تعرضت لشعرهم وكتاب الأغاني " وطبقات الشعراء لابن سلام وكتب الدكتور شوقي ضيف في العصور الأدبية المتعددة وغيرها من مصادر البحث ومراجعه والتي أشرت اليها في مصادر البحث".

وبعد : فهذا بحثي أقدمه وقد بذلت فيه أقصى جهد لي ، وحاولت أن اقدم فيه شيئا وأرجو الله عزّ وجلّ أن يكون التوفيق قد حالفني وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وهو نعم المولى ونعم النصير ..

دكتور
عبد الهادي عبد النبي علي أبو علي
مدرس الأدب والنقد
في كلية اللغة العربية بالمنصورة

" الفصل الأول : حياة الشاعر ونشأته "

١ ـ نسبه .
٢ ـ مولده .
٣ ـ نشأته .
٤ ـ ثقافته وشعره .
٥ ـ مذهبه الفني.
٦ ـ مكانته .

"حياة البحترى ونشأته"

نسبه: هو الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن عبيد بن شبلال بن جابر بن سلمة بن سمير بن الحارث بن خهشم بن أبى حارثة ابن جدى بن تدول بن بحتر بن عتود بن عثمة بن سلامان بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن جلهمة بن زيد بن كهلان بن سبأ يعصن يشجب بن يعرب بن قحطان (١).

وسماه أبوه الوليد وكناه بأبى عبادة ولكنه اشتهر باسم البحترى فى عالم الأدب نسبة إلى بحتر أحد أجداده (٢).
وهو ينتى قحطانى من ناحية أبيه ولكنه من ناحية أمه عدنانى حيث تنتسب إلى شيبان التى ينتهى نسبها إلى ربيعة بن عدنان (٣).

مولده ووفاته: اختلف المؤرخون فى السنة التى ولد فيها البحترى فقيل إنه ولد عام ٢٠٤ هـ (٤) وقيل إنه ولد عام ٢٠٦ هـ (٥)

---

(١) ص٣٧ جـ٢١ الاغانى طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(٢) ص١٧٨ جـ ٢ وفيات الاعيان لابن خلكان.
(٣) ص٢٢٩ جـ٢ العقد الفريد لابن عبد ربه
(٤) ص٣٩٤ طبقات الشعراء لابن المعتز و ص٢٧٠ العصر العباسى الثانى د/ شوقى ضيف.
(٥) ص١٧٨ وفيات الاعيان ، ص ١٩٢ المنتخب من ادب العرب الجزء الثالث وص ١٩٣ جواهر الادب للسيد الهاشمى .

ولكنهم اختلفوا فى سنة وفاته حيث أجمعوا على أنه توفى عام ٢٨٤هـ.

وقد ولد البحترى فى " منبج " وهى فى الشمال الشرقى من مدينة حلب " وهى مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة كما يحكى عنها ياقوت فى معجمه (١)..
وقيل إنه ولد بقرية تجاورها تسمى " زردفنة " الا ان الرأى الأول هو الأصح لأن البحترى كثيرا ما كان يذكر فى شعره أن مسقط رأسه مدينة منبج.

حياته :

نشأ البحترى فى منبج وتلقى فيها ثقافته الأولى حيث حفظ القرآن الكريم وعرف أحكام الدين وحفظ شيئا من الشعر والنثر وشيئا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار العرب وتاريخهم وأيامهم وأنسابهم وأخذ البحترى يتنقل بين حلقات العلم فى المساجد يدرس اللغة والأدب والشعر وعلوم الدين من فقه وتفسير وحديث وتوحيد ونحو وصرف وغيرها من علوم الدين واللغة فنمت موهبته وصقلها بحفظ كثير من أشعار القدماء ونثرهم فتفجرت

---

(١) ص١٦١ جـ٢ معجم البلدان لياقوت.

ينابيع الشعر على لسانه فى سن مبكرة.

وأراد الشاعر أن يهذب موهبته ويصقلها على يد خبير مدرب فذهب يلتمس أبا تمام ويجلس معه ويعرض عليه أشعاره ويسأله الرأى فيما ينظمه فأعجب به أبو تمام ، وسن عليه وصية كيف ينظم الشعر وكيف يحسنه (١).

وأوصى به أهل بمرة النعمان يوصيهم به خيرا ويخبرهم ان هذا الرجل — على حداثة سنة — بارع فى الشعر فلما قرأوا كتابه أكرموه وخصصوا له مرتبا قدرة أربعة آلاف درهم كل عام (٢) .

ثم ظل البحترى بعد ذلك على اتصال وثيق بأستاذه أبى تمام الذى لم يبخل عليه بكل نصيحة وكل توجيه وشرح الغامض من ألوان القول ، وظل البحترى معترفا بجميل أستاذه عليه مصرحا بذلك فى قوله : " كنت فى حداثتى أروم الشعر وكنت أرجع إلى طبع ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه حتى قصدت أبا تمام فانقطعت فيه إليه واتكلت فى تمرينة عليه فكان أول ماقال لى : يا أبا عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم صغر من الغموم ، واعلم أن العادة فى الأوقات أن يعتاد الانسان لتأليف شىء أو حفظه فى وقت

---

(١) ص٢٠٨ جـ١ زهر الآداب للحصرى

(٢) ص ٤٠ جـ٢١ الأغانى . وص ١١٢ من حديث الشعر والنثر د / طه حسين وص ٥٦ أخبار البحترى.

السحر وذلك ان النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم فاذا أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الأشواق ولوعة الفراق واذا أخذت فى مدح سيد ذى أياد فأظهر مناقبه وأظهر مناسبه وأبن معاطه وشرف مقامه وتقاص المعانى واحذر المجهول منها وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرية .. وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنه العلماء فاقصده وماتركوه فاجتنبه ترشد انشاء الله تعالى " (١).

وقد وضع البحترى وصايا أستاذه نصب أمام عينيه وظل يتمثلها ويعمل بها طوال حياته فى كل ماينظمه من اشعار .

ثم نرى البحترى يترك مدينة (" حمص " ويرحل الى " بغداد " وسر من رأى " فى ايام الخليفة " الواثق " واتصل ببعض كبار الدولة ومدح الوزير " محمد بن عبدالملك الزيات " بقصيدة رائعة اشاد فيها بمناقبه واظهر مناسبه واثنى على بلاغته ثم يعاجل الموت الواثق ويتولى " المتوكل " الخلافة العباسية سنة ٢٣٢ هـ ويعصف بالوزير " ابن الزيات " فلم يطل اتصال البحترى بالوزير الا أنه ظل يتحين الفرصة حتى نجح فى اتصاله بالخليفة المتوكل نفسه ونال عنده حظوة لم ينلها شاعر آخر حيث فتح له الخليفة كل ابوابه على مصاريعها يسمع مدائحه ويغدق عليه

---

(١) ص١٠٦ جـ١ زهر الاداب للحصرى .

عطاياه واقطاعاته ومنائحه ، وظل البحترى يجوار الخليفة المتوكل يمدحه ويشيد باعماله في الداخل وفي الخارج ومضى ينشر الشاعر للخليفة دعاية دينية قوية تجعله قريبا من قلوب الشعب والرعية وظل الشاعر يجوار الخليفة يصحبه في حله وترحاله حيث قضى معه نحو خمسة عشر عاما كانت أعظم أيام الشاعر في حياته حتى انتهت بمقتل المتوكل في مجلس منادمة كان البحترى احد جلسائه ، حيث ناله ضربة في ظهره بقيت آثارها طوال حياة البحترى (١).

وظل الشاعر وفيا مخلصا لخليفته حيث رثاه بقصيدة رائعة وصف فيها مقتل الخليفة وصفا دقيقا متددا فيها بمتآمر ولى العهد " الخليفة المنتصر " مع باقى القتلة.

وبالرغم من ان الشاعر قد تدد بالخليفة " المنتصر " الذى تآمر على سابقه الا ان الشاعر لم يستطع البعاد عن قصر الخلافة فتقرب من الخليفة ومدحه بقصيدة أشاد فيها بعدله وجوده ، ثم اتصل بعد المنتصر بالخليفة " المستعين " الذى لم يكن على صلة قوية به فلم يمدحه البحترى إلا باربعة قصائد فقط طوال سنوات الخلافة.

ثم تولى " المعتز " الخلافة وفرح البحترى بذلك فرحا عظيما حيث كان هواه معه بعد مقتل ابيه " المتوكل " ونال البحترى بجواره كل

---

(١) ص ١٤ البحترى : درس وتحليل . لاسحاق كنعان.

ماكان يتمناه ويرجوه وظل بجواره يمدحه ويشيد بأعماله وانتصاراتـــه ووصف قصـــوره وتسجيل كل احداثه كما كان يفعل مع والده المتوكل "

ثم يتولى المهتدى الخلافـة بعد المعتز ويتوجه اليه البحتـــرى بمدائحه ليظل مناصحه حيث اخذ يشـــيد بتقاه وزهـــده وانصرافـــه عن الملذات والملاهى مصـــورا حروبه وانتصاراته على الروم اعداء الاسلام. ثم يتصل الشاعر ايضا بالمعتمد ويمدحه ويصف شدة بـــأسه وانتصاراتـه الحربية ويصف قصـــــره المعشوق.

وظل البحترى طوال حياته مقربا من قصـــر الخلافـة متصلا بالخلفاء والوزراء بل وبالولاة والأمراء والقواد ورؤساء الكتاب وغيرهم من كبـــار رجال الدولة حتى كان البحترى من اغنى اغنياء الدولة العباسية من كثرة الهبات والعطايا والاقطاعات التى جلبها من مدائحه للخلفاء والـــوزراء وكبار رجال الدولة العباســـية .

وقد ترك البحترى العراق فى آخر حياته متوجها الى مصر وصاحبها محمد بن طغج الاخشيد (١) حيث مدحه ومدح كاتبه " اسحق بن ثعيـــــر " الا انه لم يقم بمصـــر طويلا حيث عاد الى مسقط رأســـه " منبـــج " وقضى فيها بقيـــة حياتـــه إلى أن لقى ربـــه عام ٢٨٤ هـ.

---

(١) ص ٩٧ جـ٣ النجوم الزاهـــرة .

ثقافتـــه وشـــعره :

ثقف البحترى الثقافة العربية الأصيلة والثقافة الاسلامية الواســـعة ونال منهما حظـا وافـــرا فى مختلف العلوم العربية والاسلامية فتعلم اللغة العربية واصولها وعلـــم كل خفاياها واسرارها ومتنها وقواعـــدهـا ونحوها وصرفها وثقف الأدب العربى وحفظه واطلع على دواوينـــــه وكتبه وعرف الحديث والتفسير والفقه والتوحيد وغيرها من مختلف الثقافـات العربية والاسلامية التى ألم بها الماما واسعا لأنه أعد نفسه ليكون شـاعرا عملاقـا منذ صغره فكان لزامـا عليه أن يتعمق الثقافة العربية بمختلـف فروعـها ..

بل ان البحترى كان لايبارى فى ثقافته بالشعر مما حدا به أن يضع " ديوان حماسته " متشبها فى ذلك بأستاذه أبى تمام فى حماسته المشهورة ...

ومع ان البحترى كان مثقفا ثقافة عربية واسعة الا انه لم يثقف الثقافة الحديثة كالثقافة الفلسفية والمنطقية كأستاذه ابى تمام الا اننا نراه تياثر بها من خلال تأثره بشعر استاذه تأثرا وضح قليلا من خـــلال شعـــره .

وقد عرف البحترى جميع الفنون الشعرية المعروفة فى الشعر العربى من مدح وفخر ورثاء وهجاء ووصف وطبيعة وعتاب وشكوى وغـــــزل

وحكمة واستعطاف وغيرها من موضوعات الشعر العربي الموروثة منذ القدم.

إلا أننا نرى شعر المدح يشغل الجانب الاكبر من شعره ويستحوذ على النصيب الاكبر من ديوانه الضخم وغالبا ما كان يفتتح قصائده بالغزل والوقوف على الديار وبكاء الأطلال كعادة الشعراء القدامى الا اننا نراه غالبا يتحدث عن مشاعره وعواطفه فتارة يضمنها تجاربه الخاصة ويحملها مشاعره واحاسيسه ويسجل فيها حوادث التاريخ ومظاهر الطبيعة .

ثم نراه يفتخر بنفسه وشعره في شعره في ثنايا قصائده المدحية ، وأحيانا يأتي بغرض الفخر مستقلا بذاته ولايتعدى هذا قصيدتين أولهما بمطلع :

إنما الفتى ان تكون رشيدا ...
فانقصا من ملامة او فزيد (١)

ومطلع الثانية : (٢)

أحبب الى بطيف سعدى الاتى ...
وطروقة في اعجب الاوقات

---

(١) ديوانه ص ج
(٢) ديوانه ص ج

وقد رثى البحترى كثيرا من كبار رجال الدولة منهم الخليفة ومنهم الوزير كما رثى غيرهم من عادة القوم ، وهو مجيد رائع حينما يرثى ويذرف الدمع انهارا ويصور الفجيعة وعظم المصيبة ويصور عواطفه ومشاعره تجاه الميت مسجلا ما امتاز به الميت من خصال حميدة وأفعال عظيمة وخلال انسانية رفيعة وأروع ما يصور رثاءه قصيدته التى رثى بها المتوكل بعد مقتله ، إلا أننا نراه مقلا فى رثائه وربما يرجع ذلك لقلة أصدقائه الذين أخلص لهم أو يرجع لنفسه المتفائلة التى كانت تنشد المرح وتأبى الحزن والآلام .

ويلاحظ عليه انه كان قليل الهجاء غير مطبوع عليه حيث لم يجده ولم يتقن أسبابه لأنه كان يكرهه ولا يحب ان يشتهر بالهجاء ..... وقد عرف البحترى " شعر الغزل " بجميع الوانه سواء كان تقليديا فى بدء القصيدة أو غزلا حسيا صريحا أو غزلا عفيفا أو غزلا بالمذكر إلا أن أروع غزله وأصدقه ما قاله فى محبوبته " علوة " التى احبها بكل مشاعره ووقف عليها جزءا كبيرا من غزله ، وقد اكثر البحترى من ذكر طيف الحبيب وشهر به شهرة فائقة (١) .

وقد اشتهر البحترى بمقدرته على فن الوصف والطبيعة واعترف المؤرخون والنقاد له بمقدرته الفائقة حتى قالوا : إن الوصف اجود أنواع شعره " (٢) .

---

(١) ص٩٥ جـ٢ العمدة لابن رشيق .

(٢) ص ٢٤١ جـ ١١ معجم الأدباء لياقوت الرومى .

والحق الذى لامراء فيه أن البحترى كان عظيما فى وصفه رائعا فيه ذى قدرة فائقة على وصف الاشياء وتصوير دقائقها تصويرا بارعا تصويرا ينقل الصورة كاملة ليتأثر بها القارىء كما تأثر هو ونراه يصف لنا — من خلال وصفه — أحاسيسه ومشاعره ازاء الموصوف فهو حين يصف يصف بعينه وقلبه ومشاعره وخير مثال لذلك وصفه لإيوان كسرى وصورة أنطاكية ووصفه للربيع والقصور وغير ذلك مما وصفه فكان أروع موضوع عنده هو الوصف . (١) .

كذلك عرف شعره الحكمة الا انها لم تأت مستقلة بذاتها بل جاءت خلال قصيدة اخرى كالمدح والفخر وغيرهما كما عرف فن العتاب والاعتذار والشكوى وكل ذلك مدون فى ديوانه .

---

(١) ص ١٩٠ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى
د / شوقى ضيف ...

مذهبه في الشعر :

نشأ البحتري نشأة بسيطة في عشيرته فلم يتثقف الثقافة الواسعة الفلسفية كأبي تمام إلا أنه قرأ الشعر العربي القديم وثقفه ثقافة واسعة كما وضحت ذلك سابقا ، وظل يفهم الشعر العربي على أنه طبع وموهبة محافظا على الأساليب الموروثة وعمود الشعر العربي فكان شعره أقرب ما يكون الى شعر البادية ، وكيف لايكون كذلك وهو الشاعر الذي قضى حياته في البادية وفي قراءة الأدب العربي القديم يثقفه ويلتهمه التهاما ، الا انه قد أخذ يقسط قليل من الحضارة وخلع على شعره ألوانا من الجمال الحضري الذي تأثر به من أبي تمام وغيره وان لم يستطع ان يجاريه او يأتي بأشعار على غراره فشتان بين الشاعرين : البحتري وأبي تمام ، فأبو تمام شاعر فيلسوف ضالع في ثقافته والبحتري شاعر بدوي لم يعرف من الفلسفة إلا يسيرا ...

فأبو تمام نظم شعره فلسفيا فني الصنعة صاغه بمهارة الفنان الفيلسوف العميق الفكر بخلاف البحتري .

وقد احتفل أبو تمام احتفالا واسعا بألوان البديع وفلسفها وأعمل فيها فكره وأجهد فيها عقله واستخدم فيها ثقافته ومهارته

أما البحتري فقد عرف هو الآخر ألوان البديع خاصة الطباق وجعلها من أصول صناعته ومذهبه إلا أنه لم يحتفل بها احتفال أبي تمام

ولم يفلسفها فلسفة أبي تمام الشاعر الفيلسوف ، فكان البحتري يستخدم ألوان التصنيع ولكن دون أن يعقد فيها وكان يرى الشعر لايحتاج الى فلسفة ولامنطق بل هو موهبة وفطرة ، لذا جاءت أشعاره بعيدة عن العمق والفكر والمنطق..

كذلك اهتم البحتري بالجانب الموسيقي الداخلي في شعره ومايتطلبه ذلك من المشاكلة بين الالفاظ والمعاني والتوافق الصوتي بين الحروف والكلمات والحركات.

فالبحتري يهتم باللغة والصوت والصنعة في الموسيقى دون حاجته الى فلسفة او منطق...

ويرى البحتري أن الشعر الرائع هو الذي يأتي بأسلوب واضح لا تعقيد فيه ويتخذ مادته من الالفاظ المألوفة غير الثقيلة على اللسان والذي يستطيع تصوير العاطفة بكل الصدق.

مكانتـــه :

حينما نتصفح ديوان البحترى نجده قد برع فى فنون شـــعرية معينة كشـــعر الوصف والطبيعة وشعر المدح والرثاء والغـــــزل بيد أنه قد برع وتألق بلغ الغايـــة حينما نراه واصفا مصورا ...

ويحتل البحترى مكانة رفيعة بين شـــعراء عصره وشعراء العربيـــــة قاطبة نظرا للمذهب الشعرى الذى انتهجه فى شعره والذى اتبعه فى نظم قريضـــه حيث كان شـــاعرا مطبوعا معبرا عن أحاسيسه ووجدانـــه مستخدما الخيال فى تصوير ما يجيش بداخله ومشاعره ، ولذلك قال بعض النقـــاد : انه من المطبوعين على مذهب الأوائل ولم يغـــــارق عمود الشعراء المعـــروف (١)،

ونرى البحترى أستاذا للشعراء فى تجنب الالفاظ المعقدة الوحشية الوعرة الغريبة - اللهم إلا نادرا - محافظا على سلامـــة اللغـــــة العربية وقواعدها فالبحترى من كبار شعراء عصره بل من كبار شعراء العربيـــة وهو شاعر مجيد فى مدحه رائع فى وصفـــه ورثائـــه ..

وقد أشـــاد به وبشاعريته كثير من الباحثين والمؤرخين والنقـــــاد نجباء صاحب كتاب الاغانى : " شاعرا فاضلا فصيحا حسن المذهب نقـــى

---

(١) ص٢ الموازنة بين ابى تمام والبحترى .

الكلام مطبوعا ويختم به الشعراء وله تصرف حسن فاضل تقى فى ضروب الشعر سوى الهجاء (١).

ويقول عنه ابن رشيق فى موازنة بينه وبين أبى تمام : ...أما البحترى فكان أملح صنعة وأحسن مذهبا فى الكلام يسلك منه دماثة وسهولة مع احكام الصنعة وقرب المأخذ (٢).

ويقول فيه الثعالبى : " انه فى الشعر أطبع المحدثين والمولدين وان شعره كتابة معقودة بالقوافى "(٣).

ويرى ابو تمام : انه امير الشعراء بعده فيقول له : " انت والله يابنى امير الشعراء غدا بعدى " (٤).

ويرى صاحب كتاب "أدبيات العرب" انه أشعر الشعراء بعد أبى نواس " (٥).

---

(١) ص٣٧ جـ٢١ الأغانى.

(٢) ص ٢٢٧ جـ٣ المثل السائر.

(٣) ص [illegible] نثار التلسوب.

(٤) ص٩٤ جـ٢١ الاغانى.

(٥) ص ١٩٢ جواهر الآداب ، السيد أحمد الهاشمى الجزء الثانى.

ويقول عنه ابن الاثير مشيدا بشاعريته وشعره ولغته ومعانيه : ... وأما البحترى فانه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ولقد جاز طرفى الرقة والجزالة على الاطلاق فهيهنا يكون فى شظف نجد اذ يتشبث بريف العراق ، وسئل المتنبى عنه وعن ابى تمام وحسن تفسده فقال : " أنا وأبوتمام حكيمان والشاعر البحترى ولحسن ما انه انصف فى حكمه — والقول مازال لابن الأثير — فان البحترى أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فادرك بذلك بعد المرام مع قربة الى الافهام وما اقول الا أنه اتى فى معانيه بالنوادر الغالبة ورقى فى ديباجة لفظه الى الدرجة العالية " (١).

ويشيد به وشعره ومذهبه الآمدى فيقول : " البحترى أعرابى الشعر ، مطبوع على مذهب الأوائل ما فارق عمود الشعر المعروف وكان يتجنب التعقيد ويستكره الألفاظ ووحشى الكلام..... فان كنت ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك وصحة العبارة وحلو اللفظ فالبحترى أشعر " (٢).

هذا والأمثلة على ذلك كثيرة فقد أثنى عليه النقاد والشعراء واعترفوا بعظم مكانته وعلو منزلته بين الشعراء العربية ولاغرابة فى ذلك فالبحترى جدير بهذه المنزلة وتلك المكانة فقد جمع بين مذهب

---

(١) ص٣٧٣ جـ١ جواهر الادب.

(٢) ص ١ ، ٢ الموازنة للآمدى .

القدماء من المحافظة على جزالة اللفظ وقوة اللغة ومذهب المحدثين في الرقة والسهولة والعذوبة فضلا عن تهيئته عن احاسيسه ومشاعره وذاتيته في شعره ..

هذا وقد بلغ البحتري من عظم شاعريته ان نظم شعره في كل غرض وفن وكان يرتجل الشعر ارتجالا ... (١) .

(١) ينظر على سبيل المثال ص ٤٣ ج ٢١ الأغاني .

"الفصل الثانى : " شعر الطبيعة قبل البحترى"

١ـ العصـــر الجاهلـــى.
٢ـ العصـــــر الاســـلامى.
٣ ـ العصـــــر الأمـــــوى.
٤ـ العصـــــر العباســـى .

"شعر الطبيعة قبل البحتـــرى"

وصف الطبيعة فن قديم فى الأدب العربى منذ العصر الجاهلـــى وهو تعبيـــر قديم عرفه العرب منذ القدم وليس تعبيرا جديدا فى أدبنا جاءنا من الآداب الغربية كما زعم ذلك بعض الدارسين ..(١).

فقد هام الانسان العربى بالطبيعة منذ ان فتح عينيـــه علـــى محاسنها ووجد فيها الشعراء القدامى مرتعا خصبا لخيالهم وافكارهـــم واستمدوا منها كثيرا من موضوعـــاتهم وصورهم وخيالاتهم.

وأعنى بشعر الطبيعة: هذا الشعر الذى يمثل الطبيعة وتصويـــر مظاهرها بصورة واضحة وتلوين الاثار الانسانية بألوان كاشفة عن الجمال وتحليل المشاعر الانســـانية تحـــليـــلا يصل بنا الى أعماق الشاعر الـــى غير ذلك من عناصر يحتاج وصفهـــا الى ذوق فنى وتتطلب الاحاطـــة بنواحيها والسمو إلى آفاقها وجدانا شاعرا وإحساسا مرهفا وذوقـــا سليما (٢)..

فالطبيعة او شعر الطبيعة فن قديم فى الأدب العربى منذ العصر الجاهلى ومختلف العصـــور الأدبية حتى يومنا هذا...

---

(١) ص١٢٤ فى الأدب الاندلسى / جودت الركابى ، الطبعة الرابعة.
(٢) ص٤٢ جـ١ الوصف فى الشعر العربى "العصر الجاهلـــى" تأليف عبد العظيم قناوى ط الحلبى الطبعـــة الاولى.

الطبيعة فى الشعر الجاهلى :

نظر الشاعر العربى فى العصر الجاهلى الى الطبيعة فوصفها وأغرم بها ووصف كل شىء وقعت عليه عينه منها سواء كانت حية أم صامتة .

وأعنى بالطبيعة الحية : ما اشتملت عليه من أنواع الحيوان ماعدا الانسان مثل الإبل والفرس والأسد والماعز وبقر الوحش والنعام والعقاب والطيور وغيرها وكل حيوان وطائر ماعدا الانسان .

وأعنى بالطبيعة الصامتة : مظاهر الطبيعة ووجودها التمثل فى جبالها وأنهارها وبحارها وسمائها وليلها ونهارها وحقولها وأمطارها ومياهها وحدائقها وأماكنها ومدنها وقصورها وغير ذلك ..

فالشاعر العربى فى العصر الجاهلى وصف الطبيعة بنوعيها : الحى والصامت ، حيث وصف كل ما وقعت عليه فى الصحراء والبيئة البدوية التى كان يعيش فيها ، وقد شاع عن الشعراء الجاهليين انهم كانوا غالبا مايفتتحون قصائدهم بالوقوف على الديار ووصف الاطلال والصحراء ومشاهدها والنوق التى كانت تحملهم والبيئة التى كانوا يعيشون فى داخلها ويصفون كل مافيها من مظاهر البداوة وكان شعورهم فيها يمتاز بقوة الملاحظة والدقة فى أوصافهم إلا أنها كانت محدودة لم تخرج عن بيئتهم الصحراوية .

فمثلا نجد الأعشى يتغزل بمحبوبته ويصف ريحها ويجعله أطيب

من رائحة الرياض ويصور هذا فيقـــول : (١)٠

ماروضة من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسبل هطـــل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق
مؤزر بعميم النبت مكتهـــــل
يوما بأطيب منـــها نشـــر رائحة
ولا بأحسن منها اذ دنا الأصل

ويقول امرؤ القيس يصف المطـــر وصفا رائعا :

ديمة هطلاء فيها وطـــف
طبق الارض تحرى وتـــدر (٢)
تخرج الود اذا ما أشجدت
وتواريه إذا ما تشتكر (٣)

---

(١) ص١٤٥ ديوان الأعشى ،طبعة بيروت عام ١٩٦٦ م
(٢) الديمة :المطر الساكن لارعد فية ولابرق ٠ هطلاء : متفرقـــــة الطف : المترخ
(٣) الود :اسم جبل ٠ اشجدت : ضمفت ٠ اشتكر : اشتد وقعـــه ٠

وترى الشجراء في ريقهـــا

كؤوس قطمت فيها الخمـــــر

ساعة ثم انتحاها وابـــل

ساقط الاكناف واه منهمـــــر (١)

راح تمـر به الصبا ثم انتحى

فيه شـؤبوب جنوب منفجـر (٢)

ثج حتى ضاق عن آذيـــه

عرض خيم فخفـاف فيســر (٣)

---

(١) انتحاها : قصدها . الوابل : المطر الشديد . الاكناف : الجوانب . واه : مسترخ من ثقله . منهمر : سريع السكب متدفق.

(٢) تمر به الصبا : تمسحه الرياح . الشؤبوب : دفعة المطر وشدتـــة

(٣) ثج المطـر : صب صبا غزيرا . الاذى : الموج الملتطـــم وخيم . و خفاف ويسـر : اسماء اودية .

قد غدا يحملنى فى أنفـــه

لاحق الأبطل محبوك ممـــر (١)

فامرؤ القيس وصف المطر وصفا دقيقا موضحا تتابع سقوطه وشدته واثـــر ذلك فى نفسه مستخدما الفاظا وعـرة قويـة غريبة تتلاءم وبيئة الشاعر وعصـره.

كما وصف امرؤ القيس الأطلال ورسوم الديار فى معلقته واظهـــر كيف تقلبت عليها الرياح السافيات ورسم بعـر الآرام تملأ العرصـــات صغيرة كحب الفلفل فيقول :ـ

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمـأل

ترى بعر الآرام فى عرصاتهـا

وقيعانها كأنه حب فلفـــــل

---

(١) انفـه : ادله واشده . لاحق : ضامر . الابطل : الخاصرة محبوك : مدمـج الخلق . الممر : المفتول فتلا شـديد ، ص ٩٤ جـ١ الطبقات

كذلك وقف طرفة بن العبد على الأطلال فوصفها والديار فرسمها وصورها وصور الصحراء ووصفها وصفا دقيقا .

والنابغة الذبياني ولبيد بن ربيعة وزهير بن ابى سلمى وغيرهم الكثير من شعراء الجاهلية قد وصفوا الأطلال وصوروا الديار ووصفوا الصحراء وما فيها من مظاهر الطبيعة وصفا دقيقا واشعارهم تزخر بذلك وتفيض بوصف الصحراء والاطلال والديار كما وصفوا الليل والسحاب والمطر وغير ذلك من مظاهر الطبيعة الموجودة فى بيئتهم الصحراوية .

فيقول عبيد بن الأبرص يصف المطر : (١)

دان مسف فويق الأرض هيدبه
يكاد يدفعه من قام بالراح

فمن بنجوته كمن بمحفلة
والمستكن كمن يمشى بقرواح

---

(١) ص ٩٢ جـ١ طبقات الشعراء لابن سلام ، تحقيق / محمد محمود شاكر .
والقرواح : الأرض البارزة للشمس لايسترها شيء .

وعلى نحو ما وصفوا الصحراء والأطلال والسحاب والمطر وصفوا البرد وقوارصه والحر وهواجره وما يجرى فى ديارهم احيانا من خصب بعد مطر غزير ويتجلى ذلك فى معلقة امرئ القيس حينما وصف السيل العارم الذى نزل فى بنى اسد بالقرب من تيماء.

واذا كان الشعراء الجاهليون قد وصفوا الطبيعة الصامتة الموجودة فى بيئتهم خلال أبيات قصائدهم — حيث جاءت متناثرة وسط ثنايا ابيات القصيدة ولم تستقل بذاتها غالبا — فانهم ايضا قد وصفوا الطبيعة الحية التى وجدت فى بيئتهم مثل : الفرس والناقة وبقر الوحش والذئب والنعام والعقاب والماعز وغيرها من هذه الاشياء الموجودة فى بيئتهم البدوية الصحراوية.

فنرى امرئ القيس يصف الفرس وصفا دقيقا حيث يقول : (١)

وقد أغتدى والطير فى وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل

(١) من ١١ ديوان / تحقيق / محمد ابو الفضل ابراهيم الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر.

مسح إذا ما السابحات على الونى
أثرن غبارا بالكديد المركل

على العقب جياش كأن اهتزامه
اذا جاش فيه حميه غلى مرجل

يطير الغلام الخف عن صهواته
ويلوى بأثواب العنيف المثقل

درير كخذروف الوليد أمره
تقلب كفيه بخيط موصل

له أيطلا ظبي وساقا نعامة
وارخاء سرحان وتقريب تتفل

كأن على الكتفين منه إذا انتحى
مداك عروس أو صراية حنظل

وبات عليه سرجه ولجامه
وبات بعيني قائما غير مرسل

فالشاعر قد وصف الفرس وصفا دقيقا متتبعا كل عضو فيه فصور ظهرها وخاصرتيها وذنبها وساقيها وقوتها وضخامتها ونومها ومشيها ولونها وسرعتها وعظيم حركتها وكبر حجمها ونظافتها وعظم هيئتها وما الى ذلك مما هو واضح في أبياته.

وقد اختار الشاعر في وصف فرسه صورا من بيئته وحياته التي يعيشها فقد اختار الظبي والنعامة والذئب والثعلب مشبها بها فرسه ، كما اختار الصخرة الصماء المتحدرة مع السيل وغليان القدر وغير ذلك مما هو موجود في بيئته ليستمد منها صوره وتصويره ، كما تراه يعتمد على التشبيه اعتمادا كبيرا في وصف فرسه وتصوير أعضائه وقوته وهيئته .

ويصف عنترة بن شداد فرسه وصفا جميلا من خلال قصيدة له فيقول : (١)

ولرب مشملة وزعت رعالها

بمقلص نهد المراكل هيكل

سلس القياد لاحق أقرابه

متقلب عنا بغلس السجل

---

(١) ص ١٠٠ — ١٠١ ديوان عنتره / دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى.

وكأن هاديه اذا استقبلته

جذع أذل وكان غير مذلل

وكأن مخرج روحه فى وجهه

سربان كانا مولجين لجيأل

وكأن متنيه إذا جردته

ونزعت عنه الجل متنا إيّل

وله حوافر موثق تركيبها

صم النسور كأنها من جندل

سلس المطن الى القتال فعينه

قبلا شاخصة كعين الأحول

وكأن مشيته إذا نهنهته

بالنكل مشية شارب مستعجل

فترى عنتره يصف الفرس وصفا دقيقا فيصف شكله وهيئته ومشيته وشرعته ووصف خاصرته ووجهه ومنخريه وصور حوافره

وذنبه وعينيه وشعوته وما إلى ذلك يصف كل ذلك وصفا دقيقا معتمدا على التشبيه الحسي كزهير أبو ذؤيب القيس في تصويره فرسه ووصف أعضائه وشكله وسرعته وقوته ..

واذا كان الشعراء الجاهليون قد وصفوا الفرس وافتنوا في وصفها واغرموا بها اغراما عظيما فانهم كذلك تعرضوا للناقة ووصفوها وصوروها تصويرا عظيما لايقل شأنا عن تصويرهم للفرس ووصفه ، وذلك لان .. الناقة لاتقل شأنا عندهم عن الفرس فعليها تقوم حياتهم وغذاؤهم وكسوتهم من اجل ذلك عنوا بها ووصفها عناية عظيمة وقلما تجد شاعرا جاهليا لم يصف الفرس او الناقة فعليهما قوام الحياة في الصحراء بيئتهم.

ومن أمثلة وصف الناقة ماعبر عنه طرفة بن العبد بقوله : (١)

وإني لأمضي الهم عند اختصاره

بموجاء مرقال تروح وتغتدي

أمون كألواح الاران نصأتها

على لاحب كأنه ظهر برجد

---

(١) ص٦٩ ج٢ جواهر الأدب / السيد احمد الهاشمي.

جمالية وجناء ترى كأنهـــا

سفنجة تبـــرى لأزعـــر أربـــــد

تهارى عتاقا ناجيات وأتبعت

وظيفاً وظيفاً فوق مور مـــــعبد

تربعت القفين فى الشول ترتعى

حدائق مولى الأسرة أغيـــد

تريع إلى صـــوت المهيب وتتقـــى

بذى خصل روعات أكلف ملبد

لها فخذان أكمل النحض فيهمـــا

كأنهما بابا منيـف ممـــــرد

وطى محال كالحنى خلوفـــــه

وأجرنة لزّت بدأى منضـــد

لها مرفقان افتلان كأنهـــا

تمر بسلمى دالج متشـــدد

كقنطـرة الرومى أقسم ربها

لتكتنفن حتى تشاد بقرمـد

وأتلع نهاض إذا صعدت به

كسكان بوصى بدجلة مصـعد

وجمجمة مثل العلاة كأنمـا

وعى الملتقى منها الى حرف مبرد

وخد كقرطاس الشامى ومشفر

كسبت اليمانى قده لم يجـرد

وعينان كالماويتيـن اســتكنتا

بكهفى حجاجى صخرة قلت مورد

وصف طـرفة الناقة وصفا دقيقا رائعا حتى أبدع وفاق كـل من تعرض

لوصفها حيث كساها بالظلال وصورها بكل الجمال وفصل ودقق فى وصفها وتصويرهـــا .

فالناقة قوية سريعة ضامرة نجيبة صلبة ضخمة الرأس طويلة العنق عيناها كالمرآتين وخدها كالقرطاس الشامى أبيض لاشعر عليه وفخذاها ممتلئتان باللحم وفقراتها متداخلة وهى فى قوتها وصلابتها تشبه قنطرة الروم بناها الصانع بالآجر الصلب ، وهى سريعة نشيطة مطيعة لقائدها ، فالشاعر صور كل عضو من أعضاء الناقة وقد استعمل التشبيه الحسى لتوضيح وصفه وتصويره الا انه استخدم لغة غريبة لم نألفها ولم نردد ها إلا أنها كانت مألوفة فى عصره .

وعلى نحو ما اكثر الشعراء الجاهليون من وصف الفرس والناقة اكثروا كذلك من وصف الذئب والماعز والعقبان وبقر الوحش والضب والجواد والوعول والأوبدا وغير ذلك من الحيوانات التى كانت فى بيئتهم .. (١)

(١) : يلاحظ عليهم أنهم وصفوها من خلال قصائدهم الطويلة المتداخلة ولم يفردوا لوصفها قصائد بعينها مستقلة ، كما يلاحظ عليهم انهم استخدموا فى تعبيراتهم الالفاظ القوية الوعرة واللغة المتينة السلبة التى تجنح إلى الإغراب والوحشية .

(١) ينظر على سبيل المثال ، ديوان أوس بن حجر ص ٤٢ ، وكتاب الحيوان للجاحظ جـ٤ ص ٤١٦ ، والاغانى جـ١١ ص ١٣٢ ، والمفضليات ص٣٠٤ ، والاصمعيات ص ١١٩ .

شعر الطبيعة في العصر الاسلامي :

ظل الشعراء في العصر الاسلامي ملهمين بالطبيعة ووصفها وتصوير مظاهرها على الرغم من تحويل شعر الشعراء المسلمين الى الجهاد في سبيل نشر الدعوة الاسلامية ودفاعهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأشعارهم فقد ظلوا يصدرون عنها في أشعارهم وأخذوا يصفون الأطلال والديار ويصورون الرسوم البالية ويصفون الصحراء ومشاهدها والليل والنهار والسحب والأمطار والنوق والفرسان وبقر الوحش وما الى ذلك من صنوف الطبيعة بمظهريها الصامت والحي .

فمن ذلك قول حسان بن ثابت في مقدمة قصيدة يهجو فيها أبا سفيان بن الحارث قبل فتح مكة : (١) .

عفت ذات الأصابع فالجواء ...
إلى عذراء منزلها خلاء

ديار من بني الحسحاس قفر
تعفيها الروامس والسماء

وكانت لا يزال بها أنيس
خلال مروجها نعم وشاء

---

(١) ص ٧١ وما بعدها ديوان حسان بن ثابت / تحقيق / د / سيد حنفي حسنين ، دار المعارف بالطبعة الاولى .

عدمنا خيلنا ان لم تروهـــا

تثير النقع موعدها كـــــداء

يبارين الأسنة مصغيـــات

على أكتافها الأســل الظمـاء

تظل جيادنا متمطـــران

تلطمهن بالخمر النســـاء

نجد حسان بن ثابت يصف فى هذه المقدمة الأطلال والديـــار ويتحدث عن الرياح والمطر ويذكر عدة مواطن بأرض الشـــام ثـــم يتحدث عن الخيل ويصف قوتها وسرعتها كما يتحدث عن الرمح ويصـــف الغبار الذى تثيره الخيل من شدة سرعتها .

واذا كان حسان بن ثابت قد وصف الصحراء والأطلال والمطر وغيرهـــا فاننا نرى شاعرا آخـر من العصر الاسلامى يصف أحد مظاهر الطبيعـــة الحية وهو سرب من بقر الوحش اثناء وصفه لحال أسرة فقيرة ألم بهـــا ضيف فيقول فيها يصف سربا من بقر الوحش : (١)

---

(١) ص ١٠٧ جـ٤ المنتخب من أدب العرب.

بيناهما عنت على البعد عانسة

قد انتظمت من خلف مسحلها نظمة

عطاشا تريد الماء فانساب نحوها

على أنه منها إلى دمها أظما

فأمهلها حتى تروت عطاشها

فأرسل فيها من كنانته سهما

فخرت نحوص ذات جحش سمينة

قد اكتزت لحما وطبقت شحما

فالحطيئة يصف قطيع البقر الوحشى ويصور منظره ومسيرته فى نظام وتتابع دقيق ثم يصور حالتها وما هى عليه من عطش شديد ثم يصف جسمها وامتلاءه باللحم والشحم فهى سمينة مملوءة لحما وشحما .

ويقول أبوزيد الطائى يصف الأسد : (١)

---

(١) ص٥٩٩ جـ٢ طبقات فحول الشعراء لابن سلام .

فباتوا يدلجون وبات يسـرى

يصير بالدجى هاد همـوس (١)

إلى أن عرسـوا وأغب عنهم

قريبـا ما يحس له حسيس (٢)

خلا أن العتاق من المطايـا

حسين به سهن إليه شوس (٣)

فلما أن رآهم قد تدانـوا

أتاهم وسط أرحلهـم يهيس (٤)

فثار القارحون فزاد منهـم

تقربا وواجهه ضهيس (٥)

---

(١) هموس : من الهمس وهو الخفي من الصوت واللوط .

(٢) عرسوا : نزل . الغب : شرب الابل يوما . الحسيس : الصوت الخفي .

(٣) العتاق : الكريم من كل شيء . المطايا : جمع مطية وهي الناقة وشوس جمع اشوس : وهو الذي يميل بمينيه .

(٤) يهيس : يتبختر . (٥) ضهيس : شرس عرصب الراس

بنصل السيف ليس له مجن

قصد ولم يصادفه حبيس (١)

فيضرب بالشمال إلى حشـــاه

وقد نادى فـــأخلفة الأنيس (٢)

بسمر كالمحاجن فى قنـــوب

يقيها قضة الأرض الدخيس (٣)

فخر السيف واختلفت يـــداه

وكان بنفسه وقيـــت نفوس (٤)

فطار القوم [illegible] والمطايا

وغرس فى [illegible] (٥)

---

(١) المجن : الترس . الحبيس : الجبان الضعيف

(٢) فيضرب بالشمال : يعنى الاسد والانيس : المؤانس الذى تسكن اليه .

(٣) قنب الاسد : الغطاء الذى يدخل فيه مخالبه . الدخيس : اللحم المكتنز (٤) فخر السيف : اى سقط وسمع لسقوطة صوت .

(٥) المكر : موضع الحرب وميدانها

وجال كأنه فرس صـــنوع

يجر جلاله ذيل شموس (١)

كأن بنحره وبساعديه

عبيرا بات تعبؤه عـروس (٢)

نجد الشاعر يصف الأسد وصفا دقيقا ويصور مشيته وهيئـــــته وصورته وقوته ويصف جســمه بالضمور ويصف نظرته وعينيـــه ويصور قوته وشدة بأسه ، كل ذلك بأسلوب قوى والفاظ صلبـــة وعرة خشنة نحس بغرابتها فى عصرنا وليست مألوفة لعهدنا ولكنهـــا بالطبع كانت مألوفة فى عهد الشـــاعر .

---

(١) وجال : يعنى الاسـد جاء يطوف حول فريســته .

ضبع : اى ضامر

(٢) عبيرا : العبيـــر : اخلاط من الطيب تجمع بالزعفـــران وفيه لون حمره تشبه الدم.

شعر الطبيعة في العصر الأموي :

وفي العصر الأموي اتسع الأفق العام لهذا الفن الشعري وأخذ ينمو شيئا فشيئا واستمر وصف الطبيعة في نموازدهار واضحين تبعا للنمو والتقدم الحضاري الذي طرأ على المجتمع الاموي حينذاك فضلا عن ان شعراء العصر ظلوا على الاوصاف القديمة والتشبيهات المعروفة منذ العصر الجاهلي ، ونجدهم يصفون الناقة والبعير والخيل والذئب والأسد وحمار الوحش وكلاب الصيد وغير ذلك مما وصفه الشعراء الجاهليون .

ومضى شعرا العصر على سنة سابقيهم من شعراء العصر الجاهلي يصفون الصحراء والاطلال البالية والرسوم المندثرة وعوامل تغيير الطبيعة لهذه الاطلال وتلك الرسوم والديار كما وصفوا المطر والسحاب والليل والنهار والبرق والرعد والغيم والسماء فضلا عن انهم وصفوا الاشياء التي جدت في عصرهم والتي طرأت على بيئتهم ومجتمعهم فوصفوا الثلوج على الجبال والمياه التي تجري في الأنهار . فالشاعر الاموي مع تمسكه بوصف الطبيعة القديمة سواء كانت حية ام صامتة لم يغض الطرف عن وصف المناظر في البيئة الجديدة .

فمن شعر الطبيعة الحية في العصر الأموي قول الفرزدق يصف الذئب فيقول : (١)

---

(١) ص ٣٨٧ ج١ ديوانه / دار صادر / تحقيق اكرم البستاني

وليلة بتنا بالغريين ضافنـــا
على الزاد مشـوق الذراعين أطلس (١)

تلمسنا حتى اتانا ولم يـــزل
لدن فطمته أمه يتلمس

ولو انه إذ جاءنا كان دانيـا
لألبسته لو أنه كان يلبس

ولكن تنحى جنبه بعد مادنـا
فكان كعيد الريح بل هو أنفس

فقاسمته نصفين بيني وبينه ..

بقية زادي والركائب نعس (٢)

---

(١) الاطلس : الذئب الاسمط في لونه غبرة الى سـواد .

(٢) الركائب : الابل

وكان ابن ليلى إذا قرى الذئب زاده

على طارق الظلماء لايتعبّس (١)

فالشاعر يحكى لناقصة له مع ذئب جاءه وهو بالفريق وكان معه مسلوخة فرماها للذئب فأكلها فرمى له ما بقى من الجنب فأكلها حتى شبع ، و أثناء قص قصته يصف الذئب فى عينيه وذراعيه ، فهو يقلد القدماء فى وصفه وتصويره لا يكاد يختلف عنهم فى شىء إلا أنه كان أقل غرابة فى تناول الألفاظ واستخدام الأسلوب حيث بعد بألفاظه وأسلوبه عن الغرابة والوعورة والصلابة والوحشية .

كما يلاحظ كذلك فى مقطوعته انه جعلها مستقلة فى وصف حالته مع الذئب ولم تجىء متناثرة بين أبيات قصيدة ذات غرض آخر كعادة الشعراء الجاهليين .

وللشاعر قصيدة طويلة تحدث فيها عن رقعة له مع ذئب جائع وصف خلالها الذئب وقص قصته معه (٢) قصيدة رائعة تنحى فيها كذلك عن التعقيد والاغراب فى الالفاظ والتزم فيها سهولة التعبير ووضوح المعنى .

---

(١) طارق الظلماء : الضيف الاتى ليلا . يتعبس : يلاقيه بوجه عبوس .

(٢) ص ٣٢٩ جـ ٢ ديوانه .

هذا وقد أكثر الشعراء الامويون فى قصائدهم من وصف الأطلال ووصف السحب والأمطار والرياح ووصف الناقة وحمار الوحش وغير ذلك من مظاهر الطبيعة وقصيدة الشاعر الأموى ذو الرمة التى تبدأ بقوله " ما بال عينك منها الماء ينسكب " خير شاهد على ذلك وهى من أروع شعر الوصف والطبيعة فى العصر الأموى بوجه عام ولانكاد نجد لها شبيها فى الأدب العربى كله حيث جمعت أوصاف الحيوانات وألوان التشبيهات كأنها متحف يزخر بالألوان الحية ..

واذا كان الشعراء الأمويون قد وصفوا الطبيعة بمظهريها الحى والصامت كما عرفها الشعراء الجاهليون فانهم أيضا وصفوا الطبيعة الجديدة التى جدت فى عهدهم من أنهار وسفن وما إلى ذلك.

يقول جرير يصف نهيرات شقها الخليفة هشام بن عبد الملك من نهر الفرات ويصور ما على جانبيها من نبات وزروع ونخيل وثمرات وثمرات : (١) .

شققت من الفرات مباركات ...

جوارى قد بلغن كما تريد

وسخرت الجبال وكن خرسا

يقطع فى مناكبها الحديد

---

(١) ص ١٥٠ ديوان / شرح محمد اسماعيل الصاوى ، مكتبة الحياة ببيروت.

بلغت من الهنى فقلت شكرا ...

هناك وسهّل الجبل الصلود

بها الزيتون فى ظل ومالت

عناقيد الكروم فهن سود

فتمت فى الهنى جنان دنيا

فقال الحاسدون هى الخلود

يعفون الانامل لو رأوها

بساتينا يؤازرها الحصيد

ومن أزواج فاكهة ونخل

يكون بحمله طلع نضيد

تهنأ للخليفة كل نصر

وعافية يجس بها البريد

فالشاعر يحدثنا عن وصف شق النهيرات فى الجبال وتحطيم كل ما يحول دون ذلك من الصخور كما يصف الطبيعة الصامتة من أنهار وزروع ونخيل

وعنب وثمار وفاكهة متعددة.فوصف الطبيعة فى العصر الأموى ضم بجانب الطبيعة القديمة مظاهر الطبيعة الجديدة التى جدت فى العصر الأموى...

هذا والأمثلة كثيرة على ذلك ومتعددة وليس المجال هنا مجال شرح واستفاضة (١)

(١) ينظر على سبيل المثال ديوان جرير جـ٢ ص٧٩.
وص ١٤٠ جـ٤ المستخب من أدب العرب،وص ٧٩ جـ٧ الحيوان للجاحظ. وص ١٧٥ جـ٦ الحيوان.

شعر الطبيعة فى العصر العباسى الأول

ظل وصف الطبيعة فى الشعر العربى القديم منذ العصر الجاهلى حتى أواخر العصر الأموى جزءا من قصيدة ولم يبرز وصف الطبيعة فى هذه الفترة كغرض مستقل أو موضوع شعرى مستقل وانما جاء فى ثنايا قصيدة المدح او الفخر أو غيرهما فى عدة أبيات فقط خلال القصيدة إلا نادرا .

وظل هذا النوع من وصف الطبيعة مستمرا على هذه الشاكلة حتى جاء العصر العباسى فصار موضوعا شعريا قائما بذاته حيث جاءت القصيدة فى وصف الطبيعة مستقلة ولم يشركها غرض آخر .

وليس معنى هذا أن كل شعر فى وصف الطبيعة فى العصر العباسى كانت تستقل القصيدة بعينها فى الطبيعة بل وجدت القصيدة المستقلة فى وصف الطبيعة بجوار وصف الطبيعة فى قصيدة ذات غرض آخر سوى وصف الطبيعة .

وتبعا للتقدم الحضارى الذى طرأ على المجتمع العباسى والحياة الجديدة التى عاشها المجتمع العباسى سار الشعراء فى وصف الطبيعة مع هذه الحياة الجديدة وهذا التيار الجديد فضلا عن وجود تيار آخر راح ينهج نهج القدماء فى وصفهم الطبيعة بدافع الحنين إلى أمجاد العرب وعاداتهم وتقاليدهم ورغبة فى ارضاء الخلفاء العباسيين الذين كانوا يشجعون الشعراء على محاكاة الأقدمين

فى نهجهم ولغتهم وموضوعاتهم فوجد من شعراء العصر من وصف الناقة والخيل والذئب والأطلال والديار والسحب والأمطار وغيرها من مظاهر الطبيعة كما وصفها الجاهليون والاسلاميون ، فضلا عن وجود وصف الطبيعة الجديدة التى وجدت فى العصر العباسى ، كوصف الرياض والانهار والقنوات والبرك والقصور والسفن والأزهار والثمار وغيرها من مظاهر الطبيعة التى جدت فى العصر العباسى .

ففى العصر العباسى وجد شعر الطبيعة كما كان فى القديم بجوار شعر الطبيعة الذى يصور الطبيعة الجديدة فى العصر فضلا عن ظهور شعر الطبيعة كغرض مستقل وموضوع شعرى معين فى قصيدة بعينها مستقلة .

فمن وصف الطبيعة القديمة قول أبى نواس يصف الأطلال حيث قال

ألم تربع على الطلل الطاسى ..

عفاه كل أسم ذى ارتجاس

وذارى الترب مريكم حصاه

نسيج العيث معنقة الدهاس

سوى سفع أعارتها الليالى

سواد الليل من بعد اغباس

وأورق حالف النثوة هـــاب

كضاوى القراح من الهلاس

منازل من غميرة أو سليمى

أو الدهماء أخف بنى الحماس (١)

فأبو نواس يرسم صورة ديار المحبوبة ويصفها وصفا قديما كأنـــه جاهلى ، حيث يصف الديار بأنها خالية من أهلها الذين كانـــوا يعيشون بداخلها وأن عوامل الفـــناء أفنتها ومحتها ولم يبق منهـــا إلا هذه الحجارة التى كانت تنضب عليها القدور ومابينها من رماد .

كل ذلك يصفه أبو نواس بألفاظ غريبة غير مألوفة فى عصره يحاكـى بها الشعراء الجاهليين وذلك على الرغم من أنه حـامل لواء التجديـد فى عصره وكثيرا ماكان يدعو إلى ترك الأطلال والتهكم منها والســـخرية إلا أنه لم يستطع أن يلتزم بدعوته حيا فى تقليد القدمين وحيا فى ارضـــاء الممدوحـــين من الخلفاء والوزراء العباسيين الذين كانوا يؤثـــرون القديم ويشجعون عليه ويمنحـــون عليه الهبات والعطايا الجزيلـــة .

وسار الشعراء العباسيون فى وصف الأطلال والديار والآثار مســـير القدماء غير أبى نواس فوصف بشار الأطلال كما وصفها مسلم بن الوليـــد

---

(١) .

ودعبل الخزاعى وأبو تمام وعبدالله بن المعتز والبحترى وغيرهم من شعراء العصر العباسى والمجال هنا ليس مجال استفاضة فى هذا الموضوع .

كما وصف الشعراء العباسيون الليل والأطلال والسحاب والغيم والأمطار وذهبوا فى ذلك مذهب القدماء الا اننا نلاحظ ابداعا جديدا فيه وتشبيهات حية تستمد صورها من الواقع الجديد فى العصر العباسى .

وذلك كتصوير ابن المعتز الهلال يطوق عروس فوق غلائل سود والثريا بالعنقود أو بلجام مفضض أو بتصويره الصبح بعريان يمشى فى الليل بسراج الى غير ذلك مما هو مذكور فى دواوين شعراء العصر .

واذا كان الشعراء العباسيون قد ساروا فى وصف الأطلال والسحاب والأمطار والشمس والليل وما إلى ذلك من مظاهر الطبيعة الصامتة مسير الشعراء الأقدمين فانهم كذلك وصفوا الطبيعة الصامتة التى حدثت فى عصرهم ولم تكن موجودة من قبلهم ، فوصفوا الأنهار والبرك والسفن والرياض والازهار والثمار والقصور والمدن والقوارات والبرك

وما إلى ذلك من مظاهر الطبيعة التي جدت في عصرهم (١).

وإذا كان الشعراء العباسيون قد وصفوا الطبيعة الصامتة بمظهريها القديم والجديد الذي جد في عصرهم فانهم ايضا وصفوا الطبيعة الحية بمظهريها القديم الموروث والجديد الذي طرأ على مجتمعهم وبيئتهم الحضرية ، فتراهم يصفون : الظباء والخيل والذئب والأسد وكلب الصيد والنمر والصقر والطيور وما الى ذلك من مظاهر الطبيعة الحية ، القديم منها والجديد .

---

(١) ينظر على سبيل المثال ، الاغاني جـ٣ ص ٢٤٢ ، وديوان ابي تمام جـ٢ ص ١٩١ طبع دار المعارف . وديوان ابن المعتز ص ٤٧٣ ، وديوان علي ابن الجهم ص٨٩ ، والمنتخب جـ٣ ص ١١١ ، وص ١١٢ ، وص ١١٣ . وجواهر الادب جـ ٢ ص ٣٤٩ ، و ص ٣١٩ . وديوان ابي نواس ص ٦٨٨ تحقيق احمد الغزالي مطبعة مصر عام ١٩٥٣ .

فيقول أبو نواس يصف الناقـــة : (١)

ولقد تجوب بنا الفلاة إذا ..
صام النهار وقـــالت العفـــر

شـــدنية رعت الحمى فأتت
ملء الجبال كأنها قصـــــر

تثنى على الحاذين ذا خصل
تعمالـه الشـــذران والخطـــر

اما اذا رفعته شـــــامذة
فتقول : رنق فوقها نســـــر

اما اذا وضـــعتة عارضـــة
فتقول أرخى فوقهـــا ســـتر

وتسـف أحيانـــا فتحسبها
مترسا يقتـــاد أثـــر

---

(١) ينظر ديوان ابى نواس ص ٣٢٥ ومابعدها - ط بيروت.

فإذا قصرت لها الذمـــام ســـما

فوق المقادم ملطم حـــــر

تنفى الشـــذا عنها بذى خصل

وحف السبيب بزينه الضـفـر

تترى لإنفاض أغـــر بها

جذب البرى فخدودها صفر

فأبو نواس يصف ناقة تمشى به فى الصحراء فى وقت الظهيرة وقـــــد استقام النهار وهدأت الظباء فى وقت القيلولة ، ويصف جسمها وقوتهـــا وشـدة سرعتها ومنظرها عند مشيها ، ونـــراه يصف ناقتـه وكأنـــه شاعر جاهلى لم يبصر حضارة عصره فيصفها بأوصاف الجاهلية وبلغـــة الجاهليـــن أيضـــا .

ووصف ابن المعتز الناقة والخيل والأسـد والذئب والحمار والصـــقر والفهد والأتن والحية فى مواضع كثيرة من ديوانه (١) .

---

(١) ينظر ديوانه جـ٢ ص ١٥١ ، ص ١٥٨ و ض ١٥٩ ص ١٧٢ ص ١٨٢ ص ١٩٢ ، ص ١٩٥ و ص ١٩٦ ، وض ١٩٨ و ص ٢٠٦ ، تحقيق الدكتور / محمد بديع شريف طبع دار المعـــارف

ووصف أبو تمام الخيل بقولـــه : —

جذوناها الرحـى والأين حتـى
تجاوزت الوزع الى السجـود

إذا خرجت من الغمرات قلنا
خرجـت حيائسا إن لم تعودى

فكم من سـوءدد أمكنت منـه
بريته على أن لم تســـودى

وهكذا أكثر الشعراء العباسيون من وصف الطبيعة الحية والطبيعـة الصامتة سواء ما كان قديما منها وصفه الشعراء السابقون على عصرهم أو ما كان جديدا جد فى بيئتهم وعصرهم ، فكما وصفوا الاطلال الداثـرة وصفوا القصور العامرة وكما وصفوا الأمطار والسحب وصفوا الانهار والبـرك والغوارات ووصفوا الزهور والرياض والبساتين وتسمى شعر الطبيعـة فى العصر العباسى وازدهر ازدهارا واضحا واكب به شعراء العصـر ماطرأ عليهم من تحضر وعلى بيئتهم من تجدد وتقدم وأصبح شـعر الطبيعة فى العصر العباسى فنًّا مستقلا قائما بذاته على يد شـعراء العصر العباسى الذين رسموا مالم يرسمه السابقون وصوروا مالم يصـوره

(١) ص ١٠٥ ج ٢.

الأقدمون وأبدعوا ابداعا عظيما فى شعرهم فى وصف الطبيعة بنوعيها : الصامت والحى وقد شارك شاعرنا البحترى بنصيب غير قليل فى وصف الطبيعة فى عصره وسوف أوضحه مستقلا بذاته لأنه صلب البحث وموضوعه .

• الفصل الثالث • :الطبيعة الحية فى شعر البحترى •

١ــ وصف الفرس .
٢ــ وصف الأبـــل .
٣ــ وصـــف الأسد .
٤ــ وصف الذئب .

"الطبيعة فى شعر البحترى"

عرفنا ان شعر الطبيعة قد تقدم تقدما ملحوظا وازدهر ازدهارا واضحا فى عصر العباسى الأول سواء كان ذلك من حيث بناء القصيدة حيث ظهرت القصيدة المستقلة بجوار القصيدة المتعددة الأغراض جنبا إلى جنب أو من حيث الموضوعات حيث تناول الشعراء العباسيون كل الموضوعات القديمة التى عرفها الشعراء الأقدمون سواء كان ذلك فى الطبيعة الحية أو الطبيعة الصامتة كما استحدثوا كثيرا من موضوعاتها التى جدت فى بيئتهم وأوجدتها حضارتهم ومجتمعهم المتحضر كوصف القصور والبرك والفوارات والأنهار والرياض والورود والأزهار والثمار ووصف النحل والديك والبعوض والطيور وما الى ذلك من موضوعات الطبيعة التى جدت فى عصر العباسيين الأول.

وشاعرنا البحترى هو واحد من بين هؤلاء الشعراء العباسيين الذين أسهموا بنصيب كبير فى وصف الطبيعة بنوعيها : الحى والصامت فى عصرهم بل انه قد تفوق على اقرانه من شعراء عصره فى بعض موضوعات الطبيعة كوصفه للخيل واتقانه لوصفها ووصفه للقصور العباسية والتفنن فى وصفها ووصفه للرياض وغيرها من موضوعات الطبيعة التى وجدت فى عصره.

وقد عرف شعر الطبيعة عند البحترى الطبيعة بنوعيها : الحى والصامت وافتن فى كل منها افتنانا عظيما حتى ليصور وصف الطبيعة عنده الجانب الأصيل الصادق من شعره.

الطبيعة الحية في شعره :

عرف شعر البحتري وصف الطبيعة الحية التي تشتمل على وصف أنواع الحيوان ما عدا الانسان ، كوصف الفرس والابل والأسد والذئب وغيرها ، وقد اشتهر البحتري بوصفه للخيل واتقن فيها والتفنن فيها حتى لحقت في هذا الوصف معاصريه ، حيث أبدع في تعداد أوصافها وتشبيهاتها ابداعا عظيما ، ومن قوله يصف الخيل في قصيدة يمدح فيها ابا نهشل الطوسي ويصف الفرس والبغل (١) :

فاعن على غزو العدو بمنطقٍ ..

أحشاؤه طي الكتاب المدرج

إما بأشقر ساطع أغشى الوغى

منه بمثل الكوكب المتأجج

شبريل شهة طلت أعطافه

بدم فما تلقاه غير مضرج

أو أدهم صافي السواد كأنه

تحت اللثام مظهر ببرندج

---

(١) ديوان البحتري / تحقيق / حسن كامل الصيرفي دار المعارف ج١ ص٤٠٢ وما بعدها .

(٢) البرندج : لفظ فارسي معرب ومعناه : جلد اسود وقيل : صبغ اسود .

ضرم يهيج السوط من شـوْبوبه

هيجَ الجنائب من حريق العرفج (١)

خفت مواقع وطئك فلو انـه

يجرى برملة "عالج" لم يرهج

أو أشهب يقق يضيء وراءه

متن كمتن اللجة المتـرجرج

تضفى الجدول ولو بلغن لبانـه

في أبيض متألق كالدملـج (٢)

أو في بحرف أسود متغريـب

فيما يليـه وحافر فيروزجـى

---

(١) العرفج : نوع من النبات طيب الريح

(٢) الدملج : حلى يلبس في المعصم

أو أبلق يلق العيون إذا بدا

من كل لون معجب بنموذج (١)

جذلان تحسده الجياد إذا مشى

عنقا بأحسن حلة لم تنسج

أرمى به شوك القنا وأردّه

كالسمع أثر فيه شوك الموسج (٢)

وأقب نهد للصواهل شطره

يوم الفخار وشطره للشجج (٣)

فالبحتري وصف الخيل وصفا دقيقا رائعا مبدعا حيث أبدع في وصفه

---

(١) الابلق : ما ارتفع التحجيل فيه الى الفخذين . النموذج : المثل وهو لفظ فارسي .

(٢) السمع : سبع بين الذئب والضبع يقع ببقع بيض وصفر وسود
الموسج : شجر شوكي صغير له ثمر احمر وقضبان قصار وورق صغير

(٣) اقب : دقيق الخصر . النهد : الفرس الحسن . الصواهل : النحيح : البغال .

وأغرب فى تصويره ورسمه ، فهو يصف الخيل بانه أشقر ساطع يغشى ظلمات الحرب فيضيء هـا كالكوكب الساطع وشياته كأنها مطلية بالماء يهيجه السوط مثلما تهيج الرياح حريقا فى نبات طيب الرائحة وأنه جدير بتحمله الجهاد الأخرى، ضامر البطن كأن فيه الخصر الحسن المتن وثيق التوائم رائع بلغ الغاية فى بياضه ، ثم وصف عرفه وكبرياءه وعظمته وقوته وسرعته وعزته وما الى ذلك من صفاته وصوره ، كل ذلك باسلوب وألفاظ قوية غريبة غير مألوفة على السمع.

ويقول أيضا يصف الخيل ملتقطا وصفه رائعا فى تصويره وصوره: (١)

وأغر فى الزمن البهيم محجل
قد رحت منه على أغر محجل

كالهيكل المبنى إلا أنه
فى الحسن جاء كصورة فى هيكل

وافى الضلوع يشد عقد حزامه
يوم اللقاء على متم مخول

---

(١) ص ١٧٤٠ جـ ٣ ديوان البحترى .

أخوله للرستمين بغارس

وجدوده للتبعين بموكل

يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت

صيدا وينتصب انتصاب الأجدل

متوجس برقيقتين كأنما

تريان من ورق عليه موصل

ما إن يعاف قذى ولو أوردته

يوما خلائق حمدويه الأحول

ذئب كما سحب الرداء يذب عن

عرف وعرف كالقناع المسبل

جذلان ينفض عذره في غرة

يقق تسيل حجولها في جندل

كالرائح النشوان أكثر مشيه

عرضا على السنن البعيد الأطول

ذهب الأعالى حيث تذهب مقلة

فيه بناظرها حديد الأسفل

تتوهم الجوزاء فى أرساغه

والبدر غرة وجهه المتهلل

صافى الأديم كأنما عنيت لـه

بصفاء نقبته مداوس صيقل

وكأنما نفضت عليه صبغهـا

صهباء للبردان أو قطر بل

ليس القنو مزعفرا ومعصفرا

يدمى نراح كأنه فى خيعل

وتخاله كسى الخدود نواعما

مهما تواصلها بلحظ تخجل

وتراه يسطع فى الغبار لهيبه

لوظ وشدّا كالحريق المشعل

وتظن ريحان الشباب بروضه

من جنة أو نشوة أو أفكل

هزج الصهيل كأن فى نغماته

نبرات معبد فى الثقيل الأول

ملك العيون فإن بدا أعطيته

نظر المحب إلى الحبيب المقبل

يصف البحترى الفرس فيجعله أغر أبيض اللون وهو كالهيكل فى ضخامته وهو سريع يهوى كما تهوى العقاب فينقض على فريسته ، وانه مكتمل الخلقه كريم الاب والام دقيق السمع نظيف وينتصب انتصاب الصقر وتحسب البدر فى جبهته ذنبه طويل صافى الجلد كصفاء السيوف اللامعة فى حمرة كخمر معتقة ، وصهيله نغمات موسيقية تمشقها الاذان وتستريح لها الاسماع بل انه يفوق " معبدا " اشهر المغنين فى حسن الصوت وهو جذلان وشجاع يغشى الحروب فلا يموزه شيء

يقي به نفسه وليس له مقتل وانما يقتل حيث يريد ، ثم يصف قوته وشجاعته وضخامته وعظمة ارتفاعه وما الى ذلك من وصفه الدقيق العميق للخيل حيث لم يترك جزءا من جسده الا وصفه وعدد مناقبه وأوصافه الجسدية والمعنوية ، كل ذلك يصفه البحتري بأسلوب واضح وألفاظ واضحة يختلف في ذلك عن المثال السابق حيث اغرب في لفته واساليبه وأتى بألفاظ وعرة ثقيلة عن الآذان ، أما هنا فالألفاظ سهلة ومعانيه واضحة تتلاءم مع مذهبه في الشعر بوجه عام حيث آثر البحتري السهولة والعذوبة في الألفاظ والوضوح في الأفكار والمعاني .

ويصفه في موضع آخر فيقول في وصفه من قصيدة يمدح فيها أبا نهشل الطوسي : (١)

جارى الجياد فطار عن أوهامها
سبقا وكاد يطير عن أوهامه

جذلان تلطمه جوانب غرة
جاءت مجيء البدر عند تمامه

واسود ثم صفت لعيني ناظر
جنباته ، فأضاء في إظلامه

---

(١) ص ١٩٨٦ ج ٣ ديوانه .

مالت جوانب عرفه فكأنهـــا

عذبات أثل مال تحت حمامه (١)

ومقدم الأذنين تحسب أنـه

بهما يرى الشخص الذى لأمامه

يختال فى استعراضه ويكب فى ـ ادبـر

تدباره ويشب فى استقدامه (٢)

واذا التقى الثغر القصير وراءه

فالطول حظ عنانه وحزامـه (٣)

وكأن فارسه وراء قذالـــه

ردف ، فلست تراه من قدامه (٤)

---

(١) العرف : شعر الرأس . الاثل : شجر يشبه الطرفاء الا انه اعظم واصلب منها .

(٢) يكب : ينقلب . يشب : ينشط

(٣) الثغر : : السير الذى فى مؤخر السرج

(٤) القذال : مابين الاذنين من مؤخر الرأس .

لانت معاطفه فخيل أنه

للخيزران مناسب بغطامه (١)

فى شعلة كالشيب لاح بمفرقى

غزل لها عن شيبه بغرامه

ومردد بين القوافى يجتنى

ما شاء من ألف القريض ولامه

وكأن صهلته إذا استعلى بها

رعد يقعقع فى ازدحام غمامه

مثل العقاب انقض من عليائه

فى باقر " الصمان " أو آرامه (٢)

أو كالغراب غدا يبارى صحبه

بسواد نقبه وحسن قوامه

لاشىء أجود منه غير فتن غدا

من جوده الأوفى ومن إنعامه

---

(١) الخيزران : شجر هندى يضرب به المثل فى اللين

(٢) الباقر : جماعة البقر : الارم : الظباء البيض

وكأن كل عجيبة موصولـــــة

بتقسم اللحظات فى أقســامه

والطرف أحلب زائـر لمؤونـــة

مالم تزره بسـرجه ولجامـــه

يصف البحترى الخيل ويقول: إن جواده جارى الجياد فطار ســـــبقا وانه جذلان تلطمه غرة كأنها البدر فى تمامه ، وانه ناصع المنظر يخفى الظلام حينما يمشى ، وجنبات شعر رأسه كأنها عذبات أثـــل متينة ثم يصف مشيته فى استعراضه ومجيئه وقدومه وذهابه واستدباره ويصف أذنيه بعينين يرى بهما وانه طويل العنان والحـــزام ومعاطفه كأنها الخيزران فى ليونتـــه.

ثم يصور البياض الكائن فى غرته بأنه شيب فى مفرق شخص لاه غزل ثم يصـور صهلته المرتفعة بأنها الرعد وسط الغمام التراكم ، وانـــه كالعقاب حين الانقضاض وكالغراب وانه جميل حســن المنظر لاشـــىء أجود منـــه.

فالبحترى يتقن وصف الخيل ويمدد سماتها وصفاتها بأسلوب واضح وألفاظ تبتعد عن الوحشـية والوعـــورة.

والبحترى فى وصفه للخيل فنان بارع وصـور فنان رسم لنـــــا صـورة الخيل بدقة وصورها بروعة وفطنة حتى انه ليسبق فى ذلك معاصريه وقد وصف البحترى الخيـــل فى شعره مرات متعددة أبدع فيهـــــا ايما ابداع وتفنن فيها أروع افتنـــان.

كذلك وصف البحترى الإبل فيقول فى قصيدة يمدح فيها أبا جعفر بن حميد : (٢)٠

وخدان القيلاص حولا إذا ما
بلن حولا من أنجم الأسحار

يترقرقن كالسراب وقد خض
ن غارا من السراب الجارى

كالقسى المعطفات بل الأسـ
ـهم مبرية ، بل الأوتار

فالبحترى يصور الإبل اذا اصابها السير ويصور سرعتها وشيئها ويشبهها بالسراب والقسى المنحنية العائلة والاسهم المبرية ويلاحظ أن البحترى قد ترقى فى تشبيهه حين شبه الابل فى تحولها من الأدنى إلى الأعلى فشبهها أولا بالقسى ثم بالاسهم المبرية وهذه ابلغ فى وصف النحولة ثم شبهها بالأوتار التى هى أبلغ فى النحولة من الاسهم .

---

(١) الطرف : الكريم من الخيل٠

ويرى صاحب الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : ان هذه الأبيات التي وصف فيها البحتري الإبل في غاية الحسن والصحة والجزالة في اللفظ والنسج " (١)

ويقول كذلك يصف الإبل في قصيد يمدح بها أيها نهشل : (٢)

سوف أُعطى السلو والصبر ما أم
نع من طارف الهوى والتليد

بالمهاري يلبسن ثوبا جديدا
مستفادا في كل وقت جديد (٣)

فهي طول النهار بيض وطول الـ
ليل في أقبص من الليل سود

طالبات في الفوث غيثا سكوبا
وحميدا في آل " عبد الحميد

فالبحتري يصف الإبل ويصورها في النهار والليل بأسلوب حلو

(١) ص٢٨٤ الموازنة لابي القاسم الحسن بن بشر الامدي ، تحقيق/ السيد احمد صقر الطبعة الرابعة ، دار المعارف .
(٢) ص ٧٦٩ جـ٢ ديوانه .
(٣) المهاري : الابل المنسوبة الى مهرة بن حيوان

- ٧٢ -

سلس عذب جيد ومعان لطيفة لائقة .

كذلك وصف البحترى الأسد وبرع فى وصفه وأفتن فى تصويره وتفنن فى خياله وتصويره مبرزا مقدرته الفائقة على الوصف والتصوير ومن هذا القبيل ما ذكره فى قصيدته التى يمدح فيها الفتح بن خاقان ويذكر مغازلته للأسد : (١)

غداة لقيت الليث والليث مخدّر ...

يحدد نابا للقاء ومخلبا (٢)

يحصنه من " نهر يتزك " معقل

تنوح تسامى فيه وتاشبا (٣)

يرود مغارا بالظواهر مكتبا

ويحتل روضا بالأباطح معشبا (٤)

---

(١) ص ١٩٩ ومابعدها جـ١ ديوان البحترى

(٢) مخدر : مستتر فى عرينه

(٣) نهر يتزك : حفره المتوكل ليروى منه حديقة له .

(٤) المغار : الكهف . المكتب : المطمئن بين الجبال

يـلاعب فيه اقحوانا مفضضـا
يبصّ وحوذانا على الماء مذهبـا (١)

إذا شاء غادى عانةً أو عدا على
عقائل سرب أو تقنص ربربـا (٢)

يجر إلى اشباله كل شـارق
عبيطا مدمى أو رميلا مخضبـا (٣)

فلم أر ضرغامين أصدق منكمـا
عراكا إذا الهيابة النكس كذبا (٤)

---

(١) الاقحوان : زهـر . الحوذان : زهر . يبص : يبرق ويتلألأ
(٢) غادى : بكر . العانة : القطيع من حمر الوحش .
العقائل : الكرام من الابل . الربرب : القطيع من بقر الوحش .
(٣) الشارق : الشمس حين تشرق . العبيط : الذبيحة تنحر وهـي سمينة .
(٤) النكس : الرجل الضعيف والمقصر عن النجدة .

هزبر مشى يبغى هزبراً واغلب

من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا (١)

أدل بشغب ثم هالته صولة

رآك لها امضى جنانا وأشغبا (٢)

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا

وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

فلم يغنه أن كر نحوك مقبلا

ولم ينجه أن حاد عنك منكبا

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى

ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

يصف البحترى الاسد ويسوق مبارزة الفتح بن خاقان له حينما خرج فى رحلة صيد حيث فاجأه اسد وهو فى الطريق فبارزه الفتح وقتله ثم يصف البحترى الاسد وصفا دقيقا مفصلا عن حياته ومعيشته فى الغابة

(١) الهزبر : من اسماء الاسد . الاغلب : الاسد الغليظ الرقبة .

(٢) ادل : اجترأ . الشغب : كثرة الجلبة والفظ المؤدى الى الشر .

والأودية وكنهسة افتراسه لخمر الوحش أو بتر الوحش ليقدمها صيدا شهيا إلى أشباله ولحسها طريا يجره على التراب ، ثم يصور المعركة التي دارت بين الأسدين : الأسد الحقيقي والفتح بن خاقان حتى استطاع الفتح الانتصار على الأسد وقتله وتركه يتضرج في دمائه .

ونلاحظ ان البحتري لم يتعرض لوصف أعضاء الأسد أو أجزائه وانما اكتفى بتصوير بطولته وافتراسه ومعيشته في الغابة .

كما يصف البحتري الذئب على هذا النحو فيقول : (١)

وليل كأن الصبح في أخرياته
حشاشة نصل ضم افرنده غمد (٢)

تسربلته والذئب وسنان هاجع
بعين ابن ليل ماله بالكرى عهد (٣)

اثير القطا الكدري عن جثماته
وتألفني فيه الثعالب والربد (٤)

---

(١) ص ٧٤٢ ومابعدها جـ ٢ ديوان البحتري
(٢) حشاشة نصل : بقية سيف ، افرند السيف : جوهرة
(٣) تسربلته : صاحبته وسرت فيه . وسنان : نائم . هاجع : نائم ابن ليل : دائم السير فيه . الكرى : النوم الخفيف .
(٤) اثير : اهيج . الكدري : المائل الى السواد . جثمانه : جمع جثمة وهي الرقعة . والربد : جمع اربد وهو الاسد

وأطلس ملء العين يحمل زوره

وأضلاعه من جانبيه شوى نهد

له ذنب مثل الرشـــاء يجـره

ومتن اكتنن القوس أعوج مئآد (١)

طواه الطوى حتى استمر مريره

فما فيه إلا العظم والروح والجلد (٢)

يقضقض عصلاً في أسرتها الردى

كقضقضة القرور أرعده البرد (٣)

سمالى وبى من شدة الجوع مابـه

ببيداء لم تحسس بها عيشة رغـد (٤)

---

(١) الرشاء : الحبل . مئآد : معوج .

(٢) الطوى : الجوع . استمر مريره : استحكم عليه .

(٣) يقضقض عصلا : يصوت بأسنان صلبة معوجة . اسرتها : جمع سرار الحظ . القرور : اصابه القر اى البرد

(٤) سمالى : خرج لى .

كلانا بها ذئب يحدث نفسه

بصاحبه والجد يتعسه الجد (١)

عوى ثم أقعى وارتجزت فهجته

فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد (٢)

فأوجرته خرقاء تحسب ريشها

على كوكب ينقض والليل مسود (٣)

فما ازداد إلا جرأة وصراحة

وأيقنت أن الأمر منه هو الجد (٤)

فاتبعتها أخرى فأضللت نصلها

بحيث يكون اللب والرعب والحقد (٥)

---

(١) الجد : الاجتهاد . والجد بالفتح : الحظ . اتعسه : اشقاه

(٢) اقعى : جلس على مؤخرة . ارتجزت : رفعت صوتي او قلت رجزا

(٣) اوجرته : طعنته . الخرقاء : المرماة او السنان .

(٤) صرامة . مضاء .

(٥) اضللت نصلها : ادخلت حديدتها وبحيث يكون .. اى فى القلب.

فخـر وقد أوردته منهل الـــردى

على ظمأ لو أنه عذب الـــــورد (١)

وقت وجمعت الحصى واشتويته

عليه ، وللرمضاء من تحته وقد (٢)

ونلت خـسيسا منه ثم تركتـــه

وأقلعت عنه وهو متغفر فرد (٣)

في هذه الأبيات يصف البحتري ذئبا وجده في الصحراء في بعض أسفاره فبارزه حتى قضى عليه ، ونجده يصف الذئب وصفا دقيقـــا مفصلا ويفيض في وصفه فيصف لونه الاسود المغبـــر وعظامه الصلبـــة ومتنه المقوس وذنبه الذي يشبه الحبل وصوته الذي يشبه الرعد كمـــا يصف هيئـــة قعوده ، وشـدة جوعة حتى أصبح جلدا على عظم فيهمـــا روح ، ويصف صوته وأسنانه وكيفية منازلته ومبارزته له حـــتى قضى عليـــه

---

(١) المنهل : المورد .

(٢) الرمضاء : الارض الحامية . الوقد : النار

(٣) الخيس : الذئ الحقيـر . متغفر : مرغ في التراب

وتركه مختلطا بدمه ممرغا فى التراب ويصور شواءه له واصطخاده بعض لحمه طعاما فهو الآخر ذئب جائع ضار.

والبحترى لم يكتف فى وصفه للذئب على قوته وشجاعته وطريقته مبارزته حتى أردا، قتيلا كما فعل فى وصف الأسد مع الفتح بن خاقان وانما صور مع ذلك أعضاء الذئب وأجزاءه فوصف لونه وشكله وعظامه وذنبه وصوته وطوله واسنانه وما إلى ذلك مما ورد فى أبياته ، هذا وقد تفوق البحترى فى وصفه للذئب على الفرزدق حينما وصف الذئب فى أبياته التى سبقت عند الحديث فى شعر الطبيعة فى العصر الأموى لأن البحترى وصف عظامه وذنبه وصوته ومتنه فضلا عن قصة المبارزة التى دارت بين الشاعر والذئب.

وهكذا وصف البحترى بعض مظاهر الطبيعة الحية وصفا دقيقا رائعا تدل على مقدرة فائقة فى الوصف وروعة وبراعة فى الرسم والتصوير.

" الفصل الرابع " : الطبيعة الصامتة في شعر البحتري "

١ــ وصف الأطلال وتوابعهـــــا .
٢ــ وصف المطر والسحاب والبـــرق .
٣ــ وصف البـــرك والقـــــوارات .
٤ــ وصف الربيع والريـــــــاض .
٥ــ وصف القصـــــور والمـــدن .

الطبيعة الصامتة فى شعره:

واذا كان البحترى قد وصف بعضا من مشاهد الطبيعة الحيـــة وضمها ديوانه فى شعره الطبيعة عنده فانه قد وصف كثيرا من موضوعات الطبيعة الصامتة وتفنن فى وصفهـا واكثر من ترديد موضوعاتها وأتى فيهـا بالساحر والرائق من الوصف والرائع والبارع من الرسم والتصوير والتفنن فى ذلك على صور شتى وبتعددة ، وجال ذهنـه وفكره بين موضـوعات الطبيعة الصامتة القديمة منها والجديدة كـان أهمـها:

وصف الأطـلال

إذا كان البحترى قد عاش فى العصر العباسى ذات الحضـارات والثقافات المتعددة وعصـر التقدم والرقى فى الاتجاهـات المختلفة فانه — كمعاصريه — لم يستطع أن ينسى القديـم أو يتناسـاه فى التعرض للوقوف على الديار ووصف الدمن والاطـلال وصنعـا يسير فيه مسير القدماء وينهج فيه نهجهم ويصف كوصفهـم لافرق بينه وبين شاعر عاش فى العصر الجاهلى ولاغرابـة فى ذلك فكل أديب تواق الى محاكاة من سبقه حيث يظهر مقدرته وأنه لايقـل شأنا عن هؤلاء الفحول من الشعراء القدامى ، فضلا عن ان خلفـاء العصر العباسى قد شجعوا الشعراء على هذا التقليد المـوروث

وتلك المحاكاة القديمة من بدء القصيدة بالوقوف على الأطلال وبكاء الديار ووصف الصحراء وما إلى ذلك مما تحتويه مقدمة القصيدة ، وذلك على الرغم من الحملات المتعددة التي رفع لواءها مطيع ابن اياس وأبو نواس وغيرهما من الثورة على القديم وترك الاطلال ورفض التقليد إلا أن الحملة لم تستطع أن تؤثر في شعراء العصر بل لم تستطع إلزام هؤلاء الذين قادوا هذه الحملة فأبو نواس ومطيع بن اياس قد قلدا القدماء ووصفا الأطلال والدمن والآثار وصفا تقليديا لايختلف في شيء عن وصف الأقدمين من شعراء العصر الجاهلي .

ويعد البحتري من اكثر شعراء العصر محافظة على القديم الموروث في بدء قصائده بالوقوف على الأطلال ووصف الدمن والآثار ولاغرو في ذلك فقد ظل البحتري طوال حياته متصلا بالخلفاء العباسيين وزرائهم يمدحهم وهم الذين أحبوا وشجعوا واعانوا على هذا التقليد القديم .

ومما قاله البحتري في وصف الأطلال والديار قوله في مقدمة قصيدة يمدح فيها مرثد ابن على الطائي حيث يقول : (١)

لدارك يا " ليلى " سماء تجودها
وأنفاس ريح كل يوم تعودها

---

(١) ص ٦٥٠ ج ٢ ديوانه

منازل لا الأيام تعدى على البلى
ربا ها ولا أوب الخليط يقيدها

وعهدى بها من قبل أن تحكم النوى
على عينها ألا تدوم عهودها

فالبحترى يقف على الأطلال فيصفها وعلى المنازل فيبكيها كأنه شاعر جاهلى إلا أنه يختلف فى استخدام الأسلوب الذى يبعد عن الغرابة والوحشية.

وللشاعر نماذج أخرى كثيرة من هذا القبيل والتى تدل على أنه أكثر من وصف الاطلال والوقوف والبكاء عليها (١).

وصف المطر والسحاب والبرق:

كذلك وصف البحترى الغيث والسحاب والبرق والليل والشمس والنجوم وصورها مفتنا فى تصويرها ونظر اليها نظرات متفاوتة ملقيا عليها من ظلال خياله وتصويره الرائع صابا فيها كل مظاهر الحس والحركة والحياة والحيوية ، من ذلك قوله يصف الغيث والسحابة بديهة وارتجالا دون رويـة: (٢)

(١) ينظر ديوانه جـ١ ص ٨٣ ، ص١٠٤ ص١٠٨ و جـ٢ ص ٨٤٣ و ص ٨٦٠ و ص ٩٨٦ كأمثلة.

(٢) ص٥٦٧ — ٥٦٨ جـ١ ديوانه.

ذات ارتجاز يحنين الرعـــد

مجرورة الذيل صهـوق الرعد (١)

مسفوحة الدمع لغير وجـد

لها نسيم كنسيم الـــورد

ورنة مثل زئيـــر الأُســـد

ولمع برق كسيوف الهند

جاءت بها ريح الصبا من نجد

فانتشرت مثل انتشار العقـد

فراحت الأرض بعيش رغـد

من وشي أنوار الربى في برد

كأنما غدرانها في الوهـــد

يلعبن من حبابها بالنـرد (٢).

---

(١) ذات ارتجاز : من ارتجز الرعد اذا دمدم.

(٢) الوهد : الارض المنخفضة . الحباب : فقاقيع الماء . النرد : هي اللعبة المعروفة باسم الطاولة وهي من وضع اردشير بابك احد ملوك الفرس والكلمة : فارسي معرب.

نرى البحترى يصف الغيث والسحابة وفيها الرعد وصدق الوعد وهى مجرورة الذيل وتبكى بدمع غذير بغير حزن يؤلمها وان لها نسيما طيبا كنسيم الورد وصوتها كزئير الأسد ولمعها كلمعان سيوف الهند . وأن ريح الصبا هى التى حملتها من نجد ونثرتها مثلما ينثر العقد وينفرط فأحيت الأرض بالخضرة والأزهار والنور وجعلت الغدران يرقصن بفقاقيع الماء كما يلعب بالنرد .

فالبحترى نظر إلى الغيث نظرة القدماء الذين كانوا يرون فيه الخير العميم والنفع الكبير فهو نعمة وخير يحل بالأرض وأهلها حيث يخصب الأرض ويمحو الجفاف والتصحر والجدب .

ونراه يصف الغيث ويصوره بعدة تشبيهات حسية متعددة حيث شبه كل شىء فيها بمشبه به حسى معين ، حيث يشبه دمدمتها بحنين الرعد ، ونسيمها بنسيم الورد ، وصوتها بصوت الأسد ولمعها بلمع السيوف الهندية وانتثارها بانتثار العقد ، وصور تأثيرها على الأرض وما تحدثه عليها من تغيير ، كل ذلك بألفاظ رقيقة عذبة حلوة يألفها السمع وتعشقها الآذان ، كما أشاع فى الأبيات الحس والحركة والحياة بتصويره الذى اعتمد فيه على التشبيه والاستعارة اعتمادا واضحا ، فالأبيات لوحة فنية تموج بالحس والحركة والحياة ، وقد استطاع الشاعر أن يجعلها قصيدة مستقلة فى وصف الطبيعة ولم تأت ضمن قصيدة ذات غرض آخر سوى ، وصف الغيث .

ومن وصفه للغيث كذلك قوله فى مقدمة قصيدة يمدح فيها

أبا طاهر حيث يقـــول : (١)٠

دمن تناهب رسمها حتى غدا

منها تعاقب رائح بقطـــاره (٢)

باتت ، وبات البرق يمرى عوده

فيها وينتج مثقلات عشاره (٣)

فالأرض فى عمم النبات مجدة

أثوابهـــا والروض من نواره (٤)

فالبحترى يصف السحاب والغيث الذى ينهطل على الصحراء القفراء فيحولها إلى رياض يموج بالخضرة والحياة ويعمم النبات والخضـــــرة وتتزين الأرض بنزهتها من الخضرة والثمار ، فالبحترى يصف أثر الغيـــث وما يحدثه من خير عميم على ظهر الأرض إلا أنه لم يصف شكله ولا منظره٠

(١) ص٨٦٦ جـ٢ ديوان البحتـــرى٠

(٢) القطار : جمع القطـــر وهو المطـــر٠

(٣) يمرى : يستخرج ماءها ٠ العود : الحديثات النتاج من الظباء والابل والخيـــل٠ ٠ العشار : التى اتى لحملها عشرة اشهر٠

(٤) العمم : الكثيـــرة ـــ البوار : زهر الرمان٠

ويقول كذلك يصف الغيث مصورا ما يحدثه من أثر يغير به وجه الأرض : (١) .

أما ترى العارض المنهل دانيه
قد طبق الأرض وانحلت عزاليه (٢)

فالريح تزجيه تارات وتحدره
والرعد ينجيه طورا أو يناجيه (٣)

يبكي فيضحك وجه الأرض عن زهر
كالوشي ، بل لاترى وشيا يدانيه

مازال يسكب سحا سبلا غدقا
لايستفيق ولى عين تباريه (٤)

---

(١) ص ٢٤٤٤ جـ٤ ديوان البحتري .
(٢) العارض : السحاب المعترض فى الافق . المنهل : الذى اشتد انصبابه مع صوت . طبق الارض : عظاها . وطبق الغيم : اصاب بسطره جميع الارض
(٣) تزجيه : تسوقه وتدفعه . تحدره : تنزله من علو الى اسفل .
(٤) الغدق : الماء الغامر الكثير

سحاً يسح واسباً يسبلة

دمع يبوح بشجو كنت أخفيه

ثم انجلى ودموعى غير راقئة

والقلب فيه من الأشجان ما فيه (١)

يصف البحترى الغيث ويصور وقعة على الأرض وما يحدثه عليها من تغيير ، هذا المطر العميم الشديد الصوت القوى الاثر والوقع قد ساقته الرياح وانزلته وأنجاه الرعد وناجاه ، ثم يصور سقوط المطر بالبكاء فكأن السماء تبكى وتنزل المطر دموعها على الأرض فيضحك وجه الأرض بالأزهار والخضرة هذه الأزهار التى تشبه الوشى ثم نراه يتفاعل مع الغيث ويشاركه أحزانه ويحس بإحساسه فهو يبكى كما يبكى الا ان الغيث يبكاء لا يدوم بل يظل فترة ثم ينقطع أما هو فبكاؤه دائم وحزنه مستمر شوقا لحبيبته .

فنلاحظ ان البحترى لا يقتصر فى وصفه للمطر على وصف بعض مظاهرة وما يحدثه من أثر على وجه الارض بل يتفاعل معه ويشركه فى احاسيسه ويتذوق معه فى مشاعره وعواطفه .

كما وصف البحترى المطر وصف القمر والليل والماء فيقول فى وصفه

---

(١) راقئة : ساكنة وجافة ومنقطعة بعد الجريان .

الماء مشبها تكسيره بطرائق الفضة واللازورد : (١).

والماء حاشيتاه خضـــ

ـراء من آسٍ وورد

تحبوه أيدى الريح ان

هبت على قرب وبعد

بطرائق من فضـــــه

وطـرائق مـــن لازورد

وهكذا تفنن البحترى فى وصف بعض مشاهد الطبيعة من السحب والغيم والامطار والمياه وافتتن فى ذلك افتتانا واعتمد على الخيال والتصوير فى إبراز صوره وتصويره معبرا أحيانا عن تفاعله ومشاعره مصورا ملقبا بظلال ما ينفعل بداخله على وصفه.

---

(١) ص ٢٥٤٧ جـ٤ ديوان البحترى.

وصف البرك والقوارات :

كانت البرك والقوارات معلما من معالم القصور الكبيرة وخاصة قصور الخلفاء التى كانت تنشأ فى حدائق جميلة ويراعى فى إنشائها الروعة والبذخ وكانت بركة الخليفة المتوكل العباسى من أروع البرك التى أنشئت فى العصر العباسى الأول وأعظمها وأبدعها .

والبحترى شاعر الخليفة لايفوته أن يصف بركة خليفته وصفا لائقا رائعا مبرزا جمالها وروحها مفتنا فى ذلك افتنانا ، فى قصيدة جميلة رائعة حيث يقول فى وصفها : (١)

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها
والآنسات إذا لاحت مغانيها (٢)

بحسبها أنها من فضل رتبتها

تعد واحدة والبحر ثانيها

مابال دجلة كالغيرى تنافسها

فى الحسن طورا وأطوارا تباهيها (٣)

---

(١) ص ٢٤١٦ جـ٤ ديوان البحترى
(٢) الآنسات : جمع الآنسة وهى الطيبة النفس ، لاحت : نظرت مغانيها مقاصيرها . والمغانى : جمع المغنى وهو المنزل الذى غنى به اهله اى اقاموا ثم ظعنوا . (٣) الغيرى : مؤنث الغيران . تنافسها فى الحسن : ترغب فى مباراتها فيه بتباهيها : تفاخرها .

أما رأت كالئ الإسلام يكلأها
من أن تحاب وباني المجد بانيها (١)

كأن جن "سليمان" الذين ولوا
ابداعها فأدقوا في معانيها (٢)

فلو تمر بها "بلقيس" عن عرض
قالت : هي الصرح تمثيلا وتشبيها (٣)

تنحط فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مجريها (٤)

كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجري في مجاريها (٥)

---

(١) كالئ الاسلام : حارسه . يكلأها : يحرسها ويحفظها
(٢) ولوا ابداعها : اى قاموا بصنعها واجادتها
(٣) الغرض : ان يغيب الشيء على غرة . الصرح : القصر الذى بنى بناء بنى الله سليمان لبلقيس ملكة سبأ من الزجاج .
(٤) تنحط : تنصب بسرعة وقوة ، معجلة : مستحثة
(٥) السبائك : جمع السبيكة وهى القطعة المذوبة فى القالب من الفضة .

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا

مثل الجواشن مصقولا حواشيها (١)

فرونق الشمس أحيانا يضاحكها

وريق الغيث أحيانا يباكيها (٢)

إذا النجوم تراءت في جوانبها

ليلا حسبت سماءً ركبت فيها

لايبلغ السمك المحصور غايتها

لبعد مابين قاصيها ودانيها (٣)

---

(١) الصبا : ريح تهب من جهة الشمال . حبك الماء : الجعد المتكسر ويقصد به التكسر الذى يبدو على الماء اذا مرت به الريح . الجواش الدروع

المصقول : المجلو . الحواش : جمع الحاشية وهى جانب الشيء

(٣) رونق الشمس : اشراقها وحسنها — الريق : ان يصيبك من الطرش يسير . او : اوله وافضله .

(٣) القاص : البعيد — الدانى : القريب . ويشير بذلك الى السمك الذى كان يسبح فى الصحن الرحيب.

يعمق فيها بأوساط مجنحـــة

كالطير تنفض فى خوافيهـا (١)

لهن صحن رحيب فى أسافلها

إذا انحططن وبهو فى أعاليها (٢)

صـور إلى صورة الدلفين يؤنسها

منه انزواء بعينيه يوازيها (٣)

تغنى بساتينها القصوى برؤيتها

عن السحائب منحلا عزاليها (٤)

كأنها حين لجت فى تدفقها

يد الخليفة لما سال واديها

(١) مجنحة : ذات اجنحة ويريد بها الزعانف . تنفض : تتحرك وتضطرب الخوافى : ريشات اذا ضم الطائر جناحه خفيت.

(٢) الصحن : يقصد به حوض اقيم فى اسفل البركة . البهو : الواسـع من كل شيء.

(٣) صـور : مائلات هوالواحد : اصور والواحدة : صوراء . الدلفين : سمكة بحرية . الانزواء : الانقباض . يوازيها : يقابلها

(٤) تغنى : تكتفى . القصوى : البعيدة . الغزالى : جمع الغـزلاء وهى مصب الماء من القربة ونحوهـــا .

وزادها زينة من بعد زينتهـــا

أن اسمه يدعى من أساميها (١)

محفوفة برياض لاتـزال تـــرى

رئيس الطواويس تحكيه ويحكيها (٢)

---

(١) اسمه يدعى من اساميها : اى انها تعرف باسم البركة الجعفرية تسـبة الى جعفـر المتوكل.

(٢) محفوفـــة برياض : على جوانبها اشجار . تحكية : تشبهه.

فقد وصف البحترى البركة الجعفرية وبلغ فى وصفه درجة عالية من الاجادة والدقة فى الوصف والبراعة والروعة والفن فى الرسم والتصوير وقد ألم فى وصفها بكل جزء من أجزائها وفصل وصفه وتصويره ملقيا على كل عضو فيها بظلال خياله وصوره التى أوجدت حسا وحياة وحركة وحياة وروعة وبراعة فى كل صورة صورها وكل جزء وصفه ورسمه ...

فالبحترى يرى البركة من أعجب الدنيا وأنها لاتماثلها ولايشبهها فى العظمة شىء بل البحر يليها فى العظمة وهى تسبقه وانها تنافس دجلة فى الحسن وتباهيه وانها لايشوبها عيب لأن بانيها ومشيدها هو الخليفة العظيم المتوكل باني المجد والعظمة وانها من عظم صنعتها ودقة الإتقان والمهارة فى صناعتها كأن جن سليمان هم الذين صنعوها وأبدعوها ، وان بلقيس ملكة سبأ لو شاهدتها لحسبتها الصرح تمثيلا وتشبيها .

ثم يصور البحترى منظر تدفق المياة بها بالخيل تخرج من جمال مجريها او كأنها الفضة البيضاء السائلة ، وانها اذا مرت عليها الريح أبدت فوقها صورا كالدروع المسلولة وإن النجوم إذا انعكست فيها حسبناها سماء ركبت فيها النجوم ، وانها لاتساعها يغوص فيها السمك ويغيب ثم يصور منظر السمك وهو يسبح فيها بالطير وهو طائر فى الجو ثم يتحدث عن تماثيل الدلفين الذى كان مقاما عليها والبساتين والرياض التى كانت بساحتها والازهار التى تشبه ريش الطواويس فى أشكالها العجيبة .

كل ذلك يصوره البحترى تصويرا فنان بارع ووصاف ماهر أعطى كل عناصر الموهبة والفطنة والفن والبراعة فى التصوير .

هذا وقد اعتمد البحترى فى وصفه للبركة على قدرته الفائقة فى الوصف وعلى مهارته فى التصوير وعلى استخدام التشبيه الذى أشاع الحس والحركة والحياة فى البركة .

وتعد هذه الأبيات فى وصف البركة الجعفرية من أروع شعر الوصف والطبيعة فى الشعر العربى وأروع وصف لبركة قالها شاعر عربى ، لأن البحترى بلغ فى وصفه للبركة غاية ما يتطلبه الوصف من جمال ووفى بما لم يصل إليه شاعر من سمو المعانى ودقة التصوير مع رقة فى اللفظ وجمال الأسلوب (١)

فضلا عن ان البحترى هو الشاعر الرائد فى وصف البرك فى الأدب العربى ، حيث لم يسبق شعراء العصر الحمدانى أحد فى وصف

---

(١) ص ١١٤ و ص ٣٥ الكلام فى شعر البحترى وابى تمام / محمد طاهر الجبلاوى مطابع دار الفكر العربى ..

البرك إلا أبو عبادة البحترى الذى وصف بركة المتوكل بقصيدة جميلة عدت من مشهورات البحتـــرى (١) .

وقد تأثر بالبحترى فى وصفه للبركة كثير من الشعراء حينما تعرضـــوا لوصف البركة ، ومن بينهم أبو فراس حيث شبه البركة بالدرع وحلقة تبـــدو كالموج الضعيف حينما تهب عليه الرياح مقبلة مدبرة فى قولـه (٢)

انظر الى زهـــر الربيـــــع
والماء فى بـــرك البديـــــع
واذا الرياح جرت عليـــ
ـــه فى الذهاب وفى الرجوع
نثرت على بيض الســـفا
ئح بيننا حلـــق الدروع

ومنهم الصنوبرى حيث يقول فى وصفه للبركـــــة : (٣)

---

(١) ص٩٥ عبقرية البحترى / عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم ، بيروت الطبعة الاولى عام ١٩٥٣ .

(٢) ص ٢٩٠ ديوان ابى فراس / منشورات دار الفكر بيروت

(٣) ص ٤٨٤ ديوان الصنوبرى / تحقيق احسان عباس / دار الثقافة بيروت عام ١٩٧٠

سقى حلبا ساقك دمعـــــه

يطيء الرقوء إذا ما سفك

ميادنيه بسطهن الرياض

وساحاته بينهن البـــــرك

ترى الريح تنسج من مائـــه

دروعاً مضاعفة أو شـــبك

كأن الزجاج عليهـا اذيب

وماء اللجين بها قد سبك

هى الجو من رقـة غيـــر ان

مكان الطيور بطير السمك

وقد نظم الزهر نظم النجوم

فمفترق النظم أو مشـــتبك

فنجد أبا فراس قد وصف البركة وتأثر بالبحتري في ذلك كما بينـــــا والصنوبري تأثر هو الاخر بوصف البحتري للبركة سواء كان ذلك في التصوير أو التشبيه أو اجزاء البركة فضلا عن ان الشاعرين لايصلان بحـــال

من الأحوال إلى ما وصل إليه البحترى فى وصف البركة سواء كان ذلك فى دقة الوصف وروعة التصوير وتفصيل الوصف فى أجزائها تفصيلا واضحا علاوة على أن البحترى هو الرائد والسابق والأستاذ للشاعرين ولمن جاء بعدهما ووصف البرك وقد عد الحصرى أبيات الصنوبرى فى وصف البركة مما أخذه الصنوبرى من قول البحترى فى وصف البركة (١) فأتاح بذلك لمن جاء بعده أن يجعله تلميذا للبحترى (٢).

كما وصف البحترى الفوارة بقوله :—

وفوارة ماؤها فى السماء
فليست تقصر عن نارها

ترد على المزن ما أسلبت
على الأرض من فيض مدرارها (٣)

وقال شارح الديوان إنها أحسن ماقيل فى الفوارة إلا أننا نعد ذلك مبالغة فهناك الكثير من الشعراء من وصف الفوارة وبرع فيها وتفوق فى ذلك على البحترى وذلك كقول الشاعر

(١) ص ١٨٨ جـ ١ زهر الآداب / شرح زكى مبارك مطبعة السعادة الطبعة الثالثة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ .

(٢) ص ٣٥٦ فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين /د / مصطفى الشكعة مطبعة المعرفة القاهرة ١٩٥٨ .

(٣) ص ٢٥٨٤ ديوان البحترى .

تميم بن المعز لدين الله يصفها : (١)

وقاذفة بالماء في وسط بركة

قد التحفت وشيا من الشعر سبجا

إذا قذفت بالماء سلته متصلا

وعاد عليها ذلك النصل هودجا

كأن عيون العاشقين تحيرها

من الدمع سجلا صافيا لا مضرجا

تخال بروز الماء من جفن عينها

قضيب لجين سل منه مد ملجا

تحاول إدراك النجوم بقذفها

كأن لها قلبا على الأفق دحرجا

فوصف تميم للفوارة ينم عن شاعرية شاعر عميق الإحساس بالجمال بارع الصورة دقيق التصوير رائع الخيال .

---

(٢) ص٨٨ ديوان تميم بن المعز/ الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية عام ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧ م.

وصف الربيع والرياض :

عرف الشعراء العرب الأقدمون منذ العصر الجاهلي وصف الربيع وتصوير فاتن الرياض وجمالها وسحرها كوصف الأعشى : (١)

ماروضة من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق
مؤزر بعميم النبت مكتهل

ثم اتسع النطاق وأخذ ينمو شيئاً فشيئاً في العصر الأموي حتى ازدهر ازدهارا عظيما في العصر العباسي وتعلق به ووصفه معظم شعراء العصر مثل أبي نواس حيث يقول : (٢)

طاب الزمان وأورق الأشجار
ومضى الشتاء وقد أتى آذار
وكسا الربيع الأرض من أنواره
وشيا تحار لحسنه الأبصار

(١) ص ١٤٥ ديوان الاعشى ، ط بيروت ١٩٦٦ م
(٢) ص ٦٨٨ ديوان ابي نواس

وأبى تمام الذى برع فى وصفه حيث يقول : (١)

ياصاحبى تقصيـــا نظريكما

تريا وجوه الشمس كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد شابه

زهـــر الربا فكأنما هو مقمر

دنيا معاش للورى حتى إذا

حل الربيع فإنما هى منظـر

أضحت تصوغ بطونها لظهورها

نورا تكاد له القلوب تنور

من كل زاهرة ترقرق بالندى

فكأنها عين عليه تحـدر

تبدو ويحجبها الجهام كأنهـا

عذراء تبدو تارة وتخفر

---

(١) ص ١٩٤ ومابعدها ديوان ابى تمام.

حيث دعا أبو تمام صاحبيه أن يتمتعا ويتمتعنا بجمال الربيع وفتنته وسحره ويصف ازهاره وجمالها وهيئة قطرات الندى على اعلاها فبدت كأنها العيون ترنو وقد تحدر دمعها ، ثم يربط الزهرة وقد امتلأت بالحيوية والحياة وكأنها حسناء تسفر عن وجهها أحيانا وتتوارى أحيانا أخرى حينما تستشعر الحياء .

وكان البحترى من أبرع شعراء عصره حينما وصف الربيع وتحدث عن الرياض وجمالها وفتنتها ونضرتها وحسن منظرها حين قال يصف الربيع : (١)

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النوروز في غلس الدجى
أوائل ورد كن بالأمس نوما (٢)

يفتقها برد الندى فكأنما
يبث حديثا كان أمس مكتما

---

(١) ص ٢٠٩٠ جـ٤ ديوان البحترى .
(٢) النوروز : اول ايام السنة الشمسية عند الفرس . وغسق الدجى : ظلمة الليل .

ومن شجر رد الربيع لباســـــه

عليه كما نشـــرت وشيا منمنما (١)

أحل فأبدى للعيون بشاشة

وكان قذى للعين إذ كان محرما

ورق نسيم الريح حتى حسبته

يجئ بأنفاس الأحبة نعما

فهو رسم لنا البحترى صورة رائعة متحركة للربيع فيها الحس والحركـــة والجمال حيث يربط الربيع ضاحكا مسرورا لما يرى من زهر ونور وفيه الحس والحركة حتى كاد أن يتكلم وينطق من حسنه ، ويربط الورد بنهـــــــه النوم النعسى والبرد يفتق الأزهار كأنه يبثها حديثا كان مكتومـــــا والأشجار قد كسيت بلباس محسن منقوش والنسيم قد بلغ الغايـــــة فى الرقة حتى لكأنه أنفاس الأحبـة.

فالأبيات لوحة فنيه قد برع البحترى فى رسمها وتصويرها ببراعة معدومة النظير وهى ليست لوحة فنيه مرسومة صامتة بل نرى الحركة تدب فـى جميع أجزائهـا وألوانها والحياة والجمال فى كل صـورة صغيرة وكبيـــرة

---

(١) منمنم : محسن.

من صورها ، فمعانيه فى الأبيات أرواح تتحرك وتتنفس ويخلق لهـا الجو الملائم ويمازج فيه بين الالوان ويؤلف ويربط بين الأوزان وهذه هى الصياغة الفنية المكتملة ، وهو لايقف عند عرض اللوحة أما منها بالوانها الطبيعية التى نقلها من الطبيعة ولكنه يجعلنا نبصر فى ارضية اللوحة ظلالا أخرى تضفى على الصورة جمالا ونشاطا وحيوية .

وإذا وازنا بين أبيات البحترى هذه وبين أبيات أبى تمام السابقة عليها — والموازنة ضرب من ضروب النقد كما يقول زكى مبارك (١) :

نرى البحترى يمتاز بروعة اللفظ ورقته وعذوبته وسلاسته مع الدقة العميقة فى التصوير والوصف فضلا عن اشراقة الظلال ووضوح المعانى واشاعة الحركة والحس والحياة والحيوية داخل الصور الجزئية التى تألفت منها الصورة الكلية لوصف الربيع ، أما ابو تمام فيمتاز بعمق الفكرة والاكثار من المحسنات البديعية كما ابدع أيضا فى رسم صورة الربيع إلا ان البحترى كان أكثر ابداعا وبراعة وروعة .

ويكفى هذه الابيات التى وصف بها البحترى الربيع كثرة اختيارها والاشارة اليها وجعلها أروع أبيات فى الشعر العربى وصف بها الربيع

---

(١) ص ٥ الموازنة بين الشعر ، دار الكاتب العربى ، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٣٦ م .

كما ذهب معظم أهل الأدب إلى ذلك .

ومما قاله البحترى كذلك فى وصف الربيع مقطوعة شعرية صغيرة وصف فيها انواره وأزهاره وخضرته ومياهه بقوله : (١)

هذا الربيع كأنما أنواره

أولاد فارس فى ثياب الروم

وترى الخلاف كشارب من قهوة

تحل إلى شرب المدامة يومى

بسط البسيطة سندسا وتهرقعت

قلل المياه بلؤلؤ منظوم

ويلاحظ أنه قد اعتمد على التشبيه اعتمادا كبيرا فى إبراز صوره ووصفه ، حيث شبه الأنوار بأبناء الفرس فى ثياب الروم وشبه "الخلاف" بشارب خمر سكران ، وشبه الأرض وقد ازدانت بخضرة الربيع وأزهاره بالسندس ، ومع روعة هذه الأبيات وجمالها إلا انها لم ترق إلى مستوى أبياته الأولى حسنا وجمالا وبراعة وروعة .

---

(١) ص ٢٦٦٣ جـ ٤ ديوان البحترى .

ويقول البحترى يصف روضة : (١)

وكم بالجزيرة من روضة

تضاحك دجلة ثغبانها (٢)

تريك اليواقيت منثورة

وقد جلل النور ظهرانها

غرائب تخطف لحظ العيون

إذا جلت الشمس ألوانها

إذا غرد الطير فيها شدت

إليك الأغانى ألحانها

تسير العمارات أيسارها

ويعترض القصر أيمانها (٣)

---

(١) ص ٢١٧٦ جـ٣ ديوان البحترى

(٢) ثغبانها : غديرها او ماءها

(٣) العمارات : كل مايعمر به المكان .

وتحمل دجلة حمل الجمـــوح

حتى تناطح أركانهـــا (١)

كأن العذارى تمشى بهـا

إذا هزت الريح أغصانها (٢)

تعانق للقرب شـــجراءها

عناق الأحبة أسكانها (٣)

فطورا تقـــوم منهـا الصـا

وطورا تميل أغصانها

يصف البحترى الروض ونحس بأن الطبيعة تستأثر بكل مشاعره وأحاسيسه فهو كلف بها مغرم بصور الجمال فيها يعيش فيها مع كل حركة وكل همسة

(١) الجموح : اى يركب رأسه ولايمكن رده

(٢) العذارى : الابكار من النساء .

(٣) شجراءها : الارض ذات الشجر .

معيشة يحب لها عاشق لجمالها فهو يرى الروضة وقد تحولت وجوهـــا ناطقة فاتنه كل شـــيء فيها متحرك حي يحس إحساس الانســـان فغدير الروضة يضاحك نهر دجلة والزهر كأنه اليواقيت المنثـــورة وبأسر العين بلونه اذا سطع عليها الشمس وهذه الطيور المغردة التي تشدو بالألحان الجميلة فتتجاوب في أرجاء الروضة أصوات الغنـــاء وهذه الرياح تهز الاغصان فتتمايل كتمايل قدود العذارى والعمـــارات على يسارها والقصر الجميل على يمينهـــا وأشجارها ملتفة تعانـــق ساكنيها عناق الاحبة ، فالأبيات تفيض روعة وتنطق ببراعة الشـــاعر وفنيتـــه وقدرته الفائقة في وصف الطبيعة والغوص وراء جمالهـــا وسحرها كما تفيض رقة وعذوبة في ألفاظها وأسلوبها ومعانيها وصورهـــا ويقول أيضا يصف روضـــة : (١)

والرقة البيضاء كالخود التي

تختال بين نواعم اقران (٢)

من أبيض يقق وأصفر فاقع

في أخضر بهج وأحمر قان (٣)

---

(١) ص ٢٣٧٧ وما بعدها جـ ٤ ديوان البحتري

(٢) الخود : الشابة الجميلة الناعمة

(٣) اليقق : الشديد البياض

ضحك البهار بأرضها وتشققت

فيها عيون شقائق النعمان (١)

وتنفست أنفاس كل قرارة

وتغنت الأطيار فى الأفنان

فكأنما قطر السحاب على الثرى

عطرا فأذكاه ذكاء بيان

يمرائس خضر الدلائل ترتمى

بنواظر نجل من العقيان

فإذا العيون تأنست أشخاصها

فكأنهن إلى العيون روان

يسعى النظ مابينهن رسائلا

فيملن بالتقبيل والرشفان

(١) البهار : نبات طيب الرائحة . وشقايق النعمان : نبات احمر الزهر يقع بنقط سوداء .

وكأنما تلك القدود أوانس

كالمين لم يأنس بالإنسان

وتفجرت أنهارها بمياهها

موصولة بفواهق الغدران

مثل المرايا في نمارق سندس

خضر يروق العين باللمعان

أو فضة فاضت بأرض زمرد

أو ماء در دار في مرجان

الابتري يتأمل الرياض ويفتن بها لصنعتها البديعة التي ضمت صور الجمال والحسن من مختلف الأزهار التي زينتها هذه الأزهار الجليلة المتنوعة ذات الرائحة الجميلة كالبهار وشقائق النعمان والورد الأبيض الناصع والأصفر الفاقع والأحمر القاني ، كما ضمت الطيور التي تغرد في أرجائها ، ثم أخذ يشبه الأشجار والأزهار بالعرائس الجميلة وتمايل الأغصان بتمايل الحسان الناعمات في دلال كأنهن بقر الوحش تنفر من الانسان ، ثم يصف الأنهار والمياه تجري فيها دون انقطاع هذه المياه التي تشبه الفضة أو المرايا في نمارق سندس.

وهكذا اخذ البحترى يصول ويجول فى وصف الرياض مستمتعا فى ذلك مشيعا للبهجة والحركة داخلها ، كل ذلك بالفاظ عذبة حلوة واسلوب سهل سلس متخذا من التشبيه اداة مهمة لإبراز صوره وتصويره .

ومما قاله البحترى فى وصف الرياض قوله فى رسالة بعث بها الى بعض إخوانه : (١)

هذى الرياض بدا لطرفك نورها
فأرتك أحسن من رياط السندس (٢)

ينشرن وشيا مذهبا ومديجا
ومطارفا نسجت لغير الملبس (٣)

وأرتك كافورا وتبرا مشرقا
فى قائم مثل الزمرد أملس

---

(١) ص ١١٧٩ وما بعدها جـ٢ ديوان البحترى
(٢) النور : الزهر . الرياط : جمع ريطة وهى الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ونسجا واحدا . السندس : نوع من انواع الحرير
(٣) الوشى : الثياب المنقوشة . مذهبا : منقوش بالذهب . مديجا مزين بالديباج والمطارف : اردية من خز .

متمايل الأعطاف في حركاتـــه

كســـل النعيم وفترة التنفس

متحليا من كل حسن مونـــق

متنفسا بالمسك أي تنفس

نصبا لعينك صاحبا اكرم بـــه

من صاحب ومنادم في المجلس

فإذا طربت الى المعين وغنجها

فأجل لحاظك في عيون النوجس (١)

يصف البحتري الروضة وما فيها من أنواع الزهر المتعددة الأشـــكال والأجناس والألوان فكأنها نسيج موشـــى اما بالذهب أو الديباج أو الخز ومنه ما هو ذهبي مشرق أو زمردي ثم وصف رائحتها وأظهر جمالهـــا مشبهها تارة بالكافور وتارة بالمسك . كل ذلك يصفه البحتري بألفـــاظ

---

(١) غنجهـــا : دلالهـــا

عذبة حلوة تمشقها الآذان وتستطيبها الأسماع مبتعدا عن كل غريب وحوش منها ومعتمدا على التشبيه في إبراز بعض صوره . هذا ولليحترى نماذج اخرى كثيرة فى ديوانه تعرض فيها لوصف الرياض وإظهار فاتنتها وجمالها وما هى عليه من دقة ورومسة (١)

فاليحترى كان رائعا حين وصف الربيع والرياض وقد استطاع ان يفرض نفسه بين كبار الشعراء الذين وصفوها بل استطاع أن يجعل نفسه أستاذا تأثر به الشعراء الآخرون كابن الرومى فى قوله يصف الرياض :

ورياض تخايل الأرض فيها
خيلاء الفتاة فى الأبراد

ذات وشى تناسجته سوار
لبقات بحوكه وغوادى

حتى آخر الأبيات. (٢)

---

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : ص ١١٥١ جـ٢ وص ٢٢٣٩ جـ ٤ وص ٢٧١٣ جـ ٤ و ص ٢١٤٧ جـ ٣ وص ٩٢٠ جـ ١

(٢) ص ٧٥ ديوان ابن الرومى .

وصف القصور والمدن :

فتحت البيئات الحضارية الآخذة بالتمدن للشاعر العباسي آفاقا جديدة للوصف وكانت قصور الخلفاء التي اقتنوا فيها وجعلوها بهجة للعين والنفس من العناصر التي اجتذبت إليها الشعراء فأبدعوا في تصويرها كما أبدع أولئك في تشييدها (١).

ويعد البحتري أكثر شعراء عصره وأروعهم في وصف القصور وتصويرها واظهار روعتها في شعر غنائي متعدد الموضوعات كأنه مهندس معاصر يخطط الابنية ويرسمها في براعة وروعة ونحس في أوصافه لها خاصة — للقصور المتوكلية ووصف إيوان كسرى — كأنه مهندس فنان قد استخدم كل أدوات مهارته في رسم وتصوير هذه القصور التي تضيء السبيل للسارين كأنها الكواكب والاقمار الساطعة.

ومن وصف البحتري للقصور قوله يصف قصر الجعفري : (٢)

قد تم حسن الجعفري ولم يكن
ليتم إلا بالخليفة جعفر
ملك تبوأ خير دار إقامة
في خير مبدى للأنام ومحضر

---

(١) ص ٤٠٣ في الشعر العباسي الرؤية والفن د / عز الدين اسماعيل ، دار المعارف طبع عام ١٩٨٠م.
(٢) ص ١٠٤٠ جـ٢ ديوان البحتري .

في رأس مشرفة حصاها لؤلؤ

وترابها مسك يشاب بعنبر (١)

مخضرة والغيث ليس بساكب

ومضيئة والليل ليس بمقمر

ظهرت بمنخرق الشمال وجلوت

ظل الغمام الصيب المستغزر (٢)

تقرير لطفك واختيارك أختها

عن كل مختار لها ومقدر

وسخاء نفسك بالذى بخلت به

أيدى الملوك من التلاد الأوفر

وعلو همتك التى دلت على

صغر الكبير وقلة المستكثر

---

(١) المشرفة : الارض المرتفعة . يشاب : يخلط

(٢) منخرق الشمال : مهب ريح الشمال .
والصيب : السكوب .

فرفعت بنيانا كأن زهاءه

أعلام رضوى أو شواهق صنهر (١)

أزرى على همم الملوك وغض من

بنيان كسرى فى الزمان وقيصر (٢)

عال على لحظ العيون كأنما

ينظرن منه إلى بياض المشترى (٣)

بانيه بانى المكرمات وربه

رب الأخاشب والصفا والمشعر (٤)

ملأت جوانبه الفضاء وعانقت

شرفاته قطع السحاب الممطر (٥)

---

(١) زهاءه : شخصه . رضوى : جبل بالحجاز . وصنهر كذلك اسم جبل

(٢) أزرى عليه : عابه . غض منه : وضع من قدره

(٣) لحظ العيون : نظرها . المشترى : نجم

(٤) الاخاشب والصفا والمشعر : فى مكة

(٥) شرفاته : مقاصره واعلاه .

وتسير دجلة تحتة فغناؤه

من لجة عُمر وروض أخضـــر (١)

شجر تلاعبه الرياح فتثنني

أعطافه في سائح متفجر (٢)

يصف البحترى قصر الجعفرى الذى بناه الخليفة المتوكل وأسرف في بنائه وزخرفته وتفنن في هندسته ومايحيط به وجلب إليه كل وسائل الحضارة لعصره واختار لبنائه مكانا عاليا فوق ربوة تعلو نهر دجلة وزينه بحدائق واسعة تزينها الاشجار الكثيفة ، وفي مستهل الابيات يصف الشاعر القصر بالحسن ويرجع حسنه واكتمال بنائه الى الخليفة الذى بناه وهو خير خليفة بين الأنام ثم يحدد الشاعر مكان القصر ويشبه حصباءه باللؤلؤ وترابه بالمسك المختلط بالعنبر ثم يصف المكان وما فيه من خضره وضياء دائمين وان لم يكن هناك مطر ولا قطر ينهر ثم يصور الرياح وهى تلاعب اشجاره ثم يشبه مقاصير القصر بجبال رضوى وشواهق صنعاء وانه يصعب على كل ملك أن يشيد مثله حتى ولو كان كسرى ملك الفرس او قيصر ملك الروم وان قصور كسرى وقيصر تبدو ضئيلة حقيرة امام هذا القصر الجعفرى ثم يرى انه عال مرتفع يصعب على العيون أن تراه وان بانيه باني المكرمات وساحاته واسعة وعلقت مقاصيره السحاب وان نهر دجلة يجرى من تحته وتحوطه الاشجار التى تلاعب الرياح .

كل ذلك يصوره البحترى الا انه لم يصور ما بداخل القصر من فرش ومتاع ولم يصف لنا جدرانه وحوائطه وأعمدته بل اكتفى بتصوير ارتفاعه وتحديد مكانه ووصف شرفاته وما يحيط به من أشجار ، كل ذلك يصفه البحترى بأسلوب عذب وألفاظ تألفها الآذان وتعشقها الأسماع فلا نبو ولا غرابة ولا حوش وقد اعتمد على بعض ألوان البلاغة من تشبيه وطباق لإبراز صوره وتجسيد وصفه.

ومن قوله يصف قصر الجعفرى ويصوره بعد مقتل الخليفة المتوكل بداخله ويصور وحشته وما حل به من أهوال : (١)

محل على القاطول أخلق دائره
وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره (٢)

كأن الصبا توفى نذورا اذا اتهرت
تراوحه أذيالها وتباكره

ورب زمان ناعم — ثم — عهده
ترق حواشيه ويونق ناضره

(١) ص ١٠٤٥ وما بعدها جـ٢ ديوان البحترى
(٢) القاطول : موضع على نهر دجلة.

تغير حسن الجعفري وأنسه

وقوض بادي الجعفري وحاضره (١)

تحمل عنه ساكنوه فجاءة

فعادت سواء دوره ومقابره

إذا نحن زرناه أجد لنا الأسى

وقد كان قبل اليوم يبهج زائره

ولم أنس وحش القصر إذ ريع سربه

وإذ ذعرت أطلاؤه وجآذره (٢)

وإذ صيح فيه بالرحيل فهتكت

على عجل أستاره وستائره

---

(١) قوض : تهدم.

(٢) وحش القصر : نساؤه اللاتي يشبههن بقر الوحش . الاطلاء الظباء والجآذر : اولاد البقرة الوحشية

ووحشته حتى كأن لم يقم بـه

أُنيس ولم تحسن لعين مناظره

كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة

بشاشتها والملك يشرق زاهره (١)

ولم تجمع الدنيا إليه بهاءها

وبهجتها والعيش غض مكاسره (٢)

فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت

بهيبتها أبوابه ومقاصره ؟ (٣)

وأين عبيد الناس في كل نوبة

تنوب وناهي السدهر فيه وآمره؟ (٤)

---

(١) طلقة :بهية ضاحكة . والزاهر : الحسن والمشرق من الالوان اى تروع مظاهره .

(٢) المكاسر : جمع مكسر وهو جذع الشجرة حيث تكثر الاغصان .

(٣) المقاصر : جمع مقصوره : الحجرة او الدار الواسعة

(٤) عبيد الناس :سيدهم ويعنى به الخليفة المتوكل . النوبة : النازلة

يصور البحترى فى هذه الأبيات قصر الخليفة المتوكل بعد قتله بداخله وكان البحترى حاضرا معه حينذاك وهى قصيدة طويلة رثى فيها الشاعر الخليفة بعد وصفه لخال القصر رثاءً حسارا بل هى ليست رثاءً ولا تأبينا فحسب كما يقول الدكتور / شوقى ضيف — وانما هى أيضا ثورة على الجناة وفى مقدمتهم ولى العهد المنتصر اذ تحول صدره إلى ما يشبه بركانا لا يزال يقذف بالحمم الملتهبة حتى ليحوم على نفسه كل متاع الا ان يهب من يأخذ بثأر المتوكل ويسفح دماء قاتليه دما بدم (١).

ويهمنا منها هذه الأبيات التى ذكرتها والتى يصف فيها الشاعر قصر الخليفة بعد مقتله وما طرأ عليه من خراب بعد عمران ووحشة بعد انس وسعادة وكآبة بعد افراح وبشاشة ، فالشاعر يبدأ القصيدة بمقدمة تصور هذا التحول السريع الذى اصاب القصر بعد مقتل صاحبه وذكر ان معالمه قد تغيرت وصورته قد تبدلت وعدت عليه عوادى الدهر وصروفه فأمحت نضرته وبهاؤه وزالت حسنه وجماله وتبدلت الحركة بداخله الى صمت وسكون ولم يبق فيه من الحركة إلا رياح الصبا تصول وتجول بداخله صباح مساء وكأنها توفى بنذر عليها قد التزمت به ويستمر الشاعر فى وصف القصر فيذكر ان ما كان يتمتع به من حسن وبهاء وانس قد تبدل وولت بشاشته الى غير رجعة وذهبت سعيشته الترفة الناعمة

---

(١) ص ٢١٤ العصر العباسى الثانى .

الى غير عودة وتهدمت مظاهر البداوة والحضارة فيه ، انه الخراب الشامل والدمار الكامل الذى أحل بالقصر وازال جماله وبشاشته وكل شئ فيه ، انه خراب شمل كل شئ حتى ارتحل عنه ساكنوه وهو الذى كان بالماضى يزخر باهله وسكانه الا أنه اليوم اصبح موحشا كأنه المقابر الخربة فى وحشتها وظلمتها فقد ماتت الحياة بداخله واستقر الخراب والموت بين جوانبه التى تهدمت واصبحت اطلالا وهو الذى كان يأنس بهؤلاء الفاتنات الساحرات من نساء القصر اللائى يشبهن أبكار الوحش والظباء والجآذر جسنا وجمالا وروعة وفتنة ، ثم يتحسر الشاعر بعد ذلك على ماصارت اليه حالة القصر هذه ويتوجع ويتفجع ويذكر مشاعره وأحاسيسه وعواطفه الحزينة بسبب ما أصاب القصر من خراب وما احل به من دمار وكآبه حتى كأنه لم يكن فى يوم من الأيام مقرا للخلافة والخليفة الذى كان يأمر الدهر وينهاه والمتصرف النافذ المحكم كأنه يملى على الدهر إرادته .

فالبحترى فضلا عن وصفه لحالة القصر وتصويره ماحل به من خراب ودمار شاملين قد ارتسمت فى خواطره وسيطرت على جوارحه وعقله هذه الكآبه والأحزان لما اصبح عليه حال القصر ، ورثاء يأس ويحزن ويتألم ويتحسر ويذكر مشاعره ويعبر عن أحاسيسه الذاتية تجاه هذا القصر الذى كثيرا ماجالس فيه الخليفة .

كل ذلك يصوره البحترى بألفاظ حلوة عذبه ابتعد بها عن الغرابة والوعورة معتمدا على التشبيه والطباق فى تصوير بعض صوره وايراز

تصويره ، والبحترى لايصف القصر فى اجزائه بل يصور ماحدث للقصر وماحل به من خراب بعد عمران ويصور وحشته وكآبته ويعبر عن مشاعره واحاسيسه الشخصية ويتفاعل مع القصر تفاعلا عظيما معبرا عن سخطه وحزنه وألمه لما صارت إليه حالة القصر .

وليس هذا فقط كل ما وصف به البحترى قصور المتوكل بل هناك الكثير من القصائد التى تصف هذه القصور وتصور عظمتها وبهاءها و حسنها وجمالها والتى بلغت نحو العشرين قصرا منها هذا القصر الجعفرى الذى ذكرناه ومنها قصر المليح وشهدار والصبيح وغيرها (١) .....

فالبحترى بما كان لديه من قدرة بارعة فى الوصف ودقة وتفنن فى التصوير والتعبير لم يترك قصرا بناه الخليفة المتوكل الا ووصفه سواء كان وصفا مسهبا او موجزا وأظهر براعته ومقدرته فى وصف العمران كأنه مهندس فنان ...

كذلك كان وصفه لقصر " الكامل " الذى بناه الخليفة المعتز العباسى من أجود وصفه للقصور وما قاله فى وصفه : (٢) .

لما كملت روية وعزيمة
أعملت رأيك فى ابتناء "الكامل"

---

(١) يذكر على سبيل المثال لا الحصر : ديوانه جـ٤ ص ٢٤٥١ ،ص ١٩٩٧ جـ٣
(٢) ص ١٦٤٤ ـ ١٦٤٥ جـ٣ ديوان البحترى .

وغدوت من بهن الملوك موفقـــا
منه لأيمن حلـــة ومنـــازل

ذعر الحمام وقد ترنم فوقـــه
من منظر خطر المزلة هائل

رفعت لمنخرق الرياح سموكه
وزهت عجائب حسنه التخايل (١)

وكأن حيطان الزجاج بجوه
لجج يمجن على جنوب سواحل

وكأن تغويف الرخام اذا التقى
تأليفه بالمنظر المتقابـــــل (٢)

حبـــك الغمام رصفن بين منمر
وسير ومقارب ومشـــــاكل (٣)

---

(١) منخرق الرياح : مهبها . السموك : جمع السمك وهو السقف او من اعلى البيت الى اسفله .

(٢) التغـــويف : مايبدو فى الرخام من خطوط بيض تشبيها بالثيـــاب ويقصد التوشـــية .

(٣) الحبك : الطرائق على اى لون كان . المنمر : ان تكون فى السحاب بقعة بيضاء . وبقعة معها اخرى . السير : المخطط

لبست من الذهب الصقيل سقوفه

نورا يضيء على الظلام الحافل (١)

فترى العيون يجلن في ذي رونق

متلهب العالي أنيق الأسفل

فكأنما نشرت على بستانه

سيراء وشي اليمنة المتواصل (٢)

أغتته "دجلة" اذ تلاحق فيضها

عن فيض منسجم السحاب الهاطل

وتنفست فيه الصبا فتعطفت

أشجاره من حيل وحوامل (٣)

---

(١) الحافل : الكثير

(٢) السيراء : برود مخططة او يخالطها حرير . اليمنة : برد يمني .

(٣) الحيل : النخلة التي لاتحمل ثمارا وكل انثى لاتحمل .

مشى العذارى الغيد رحن عشـــية

من بين حالية اليدين وعاطـل (١)

والخير يجمع والنشاط لمجلس

قمن المحل من الساحة آهل (٢)

وافيته والورد فى وقت معـــا

و نزلت فيه مع الربيع النـازل

وغدا بنوروز عليك مبـــارك

تحويل عام إثر عام حائـــل

ملبته وعمرت فى بحبوحـــة

من دار ملك ألف حول كامل (٣)

---

(١) الحالية : التى لبست حليها وضدها العاطل.

(٢) القمن : الجديـــر

(٣) ملتية : هنئت به ونعمت

بحبوحة المكان : وسطه.

يصف البحترى قصر الكامل وصفا دقيقا رائعا كأنه فنان خبير بهندسة القصر وأظهر حسنه وجماله ، فصور الحمام وقد دُهش من منظره حين ترنم فوقه وصور ارتفاعه وحسنه وصور حيطان الزجاج لججا تموج على السواحل وصور تفويف الرخام بحبك الغمام وصفت فى ألوان متعددة ووصف سقفه المذهبة التى تضيء السبل فى ظلام الليل وصور اتساعه وروعته ومنظره ووصف ما أمامه من بساتين قد اكتست بالبرود الموشاة وما يجرى فيه من مياه نهر دجلة الفضفاضة وما فيه من اشجار تشبه العذارى الحسان تتمايلن عشية وما فيه من نسيم الصبا الحانى ، ويرى انه قد جمع كل انواع الخير والنشاط والحيوية ثم يدعو للخليفة ان يهنأ وينعم بهذا القصر الجميل .

فالبحترى فنان أصيل حين وصف القصر وصور بارع حين صوره وقد استطاع أن يشيع البهجة والأنس والضياء والجمال والجلال فى ربوع القصر وحوله مستخدما فى ذلك لغة مألوفة سهلة وألفاظا حلوة عذبة تنبعث الموسيقى من داخلها وتتلاءم الكلمات بين بعضها فلا نبو ولا نفور بل توافق واتساق وتوافق وتلاؤم بين الالفاظ والعبارات والمعانى فى وحدة فنية رائعة .

ومن أروع ماقاله البحترى فى وصف القصر وصفه لإيوان كسرى ويعد هذا الوصف من غرر شعر البحترى وروائعه يوجه عام ويقول فى وصف الإيوان بعد ان ابتدأ القصيدة بمقدمة يشكو فيها الدهر وصروفه وما لحقه من احداث جسام وخطوب فادحة :(١)

(١) ص ١١٥٤ ومابعدها جـ٢ ديوان البحترى .

حضرت رحلى الهموم فوجهـــ

ـت الى أبيض المدائن عنسى (١)

أتسلى عن الحظوظ وآســـى

لمحل من آل ساسان درس (٢)

وهم خافضون فى ظل عـــال

مشرف يحسر المهون ويخسى (٣)

يغلق بابه على جبل القبـــ

ـق إلى دارتى خلاط ومكس (٤)

حلل لم تكن كأطلال ســعدى

فى قفار من البسابس ملس (٥)

---

(١) حضرت رحلى الهموم : طرأت على الاحزان . ابيض المدائن : ايوان كسرى (عنسى : ناقتـــة)

(٢) آسى : احزن . آل ساسان : اكاسرة الفرس

(٣) خافضون : رغيدو العيش . يحسر ويخسى : يضعف المهون ويؤلمها

(٤) خلاط ومكس : من مدن ارمينية الوسطى .

(٥) حلل : جمع حلة وهى المكان . البسابس : القفار . ملس : خالية

ومساع لولا المحاباة منـى

لم تطقها مسماة عنس وعبس (١)

نقل الدهر عهدهن عن الجد

دة حتى رجمن أنضاء لبس (٢)

فكأن الجرماز من عدم الأُنـ

ـس وإخلاله بنية رمس (٣)

لو تراه علمت أن الليالى

جعلت فيه مأتما بعد عرس

وهو ينبيك عن عجائب قوم

لا يشاب البيان فيهم بلبس

---

(١) مساع : مكارم

عنس : قبيلة يمنية وعبس : قبيلة مضريـــة

(٢) الجدة : ضد البلى .

(٣) الجرماز : بناء أبيض بالقرب من المدائن : الرمس : القبر

واذا مارأيت صورة انطا
كية * ارتعت بين روم وفرس (١)

والمنايا مواثل وأنوشـــر
وان يزجى الصفوف تحت الدرفس (٢)

فى اخضرار من اللباس على أُصـ
ـفر يختال فى صبيغة ورس (٣)

وعراك الرجال بين يديـــه
فى خفوت منهم وإغماض جـرس (٤)

من مشيح يهوى بحامل رمح
ومليح من السنان بتـــرس (٥)

---

(١) انطاكية : بلد بالشـــام ..ارتعت : فزعت
(٢) . مواثل : قائمات . انوشروان : احد الاكاسرة . يزجى :يسوق
الدرفس . العلم الكبير .
(٣) الورس : ينبت ذو صبغة حمـراء
(٤) جرس : صوت
(٥) المشيح : الحذر . المليح :الخائف الجذر . الترس :المجن .

تصف العين أنهم جد أحيا
• لهم بينهم إشارة خرس (١)

يغتلى فيهم ارتيابى حتى
تتقراهم يداى بلمس (٢)

وكأن الايوان من عجب الصنـ
ـعة جوب فى جنب أرعن جلس (٣)

يتظنى من الكآبة إذ يبهـ
ـدو لعينى مصبح أو مسى

---

(١) تصف العين : يخيل اليها
(٢) يغتلى : يزيد • ارتيابى : شكى • فيهم : فى حياتهم •
تتقراهم : تتبعهم يداى حتى السهم فى الصورة•
(٣) الجوب : الحزق • الارعن : الجبل ذو الرعن وهو انف فى مقدمة •
جلسى : جبال عال •

مزعجا بالفراق عن انس إلف
عز أو مرهقا بتطليق عرس

عكست خطه الليالي وبات الـ
ـمشتري فيه وهو كوكب نحس

فهو يبدي تجلدا وعليه
كلكل من كلاكل الدهر مرسى (١)

لم يعبه أن بزمن الديـ
ـباج واستل من ستور الدمقس (٢)

مشمخر تعلو له شـرفات
رفعت في رؤوس رضوى وقدس (٣)

---

(١) التجلد : تكلف الصبر . الكلكل : الصدر اى نازلة
(٢) يز : سلب . استل : انتزع . الديباج : حرير . الدمقس : الحرير الابيض .
(٣) مشمخر : عال . رضوى وقدس : جبلان عظيمان بنجد

لابسات من البياض فما تبـــ

ـــصر منها إلا غلائل برس (١)

ليس يدرى أصنع إنس لحن

سكنوه أم صنع جن لإنسى

غير أنى أراه يشهد إن لم

يك بانيه فى الملوك بنكس (٢)

فكأنى ارى المراتب والقـو

م اذل ما بلغت آخر حسـى

وكأن القيان وسط المقاصيـ

ـــر يرجعن بين جو ولمس (٣)

عبرت للسرور دهرا فصارت

للتعزى رباعهم والتـــأسى

---

(١) غلائل : جمع غلالة : شعار يلبس تحت الثوب .
البرس : القطن وما يشبهه .

(٢) النكس : الضعيف الدنى .

(٣) الحو : ذوات الحوة : وهو سواد الى الخضرة او حمرة الى السواد وهى صفة للشفاه .
اللمس : ذوات اللمس وهو سواد مستحسن فى الشفاه ؟

يبدأ البحترى الحديث عن وصف الايوان بالحديث عن السبب الذى حدا به الى الذهاب اليه فقد طرأت عليه الأحزان والهموم وهو بجوار الايوان قد يزيل ما به من هموم واحزان ويجد عنده السلوى والراحة النفسية عندما يجد ما هو أكبر همـا وحزنا وأفجع مصيبة وهو هذا الايوان الفارسى الذى أصبح اطلالا بالية بعد الفخامة والروعة والأنس والبهاء الذى كان فيه حيث كان آل ساسان يعيشون فى سعة من العيش ورغد من الحياة وينعمون بعيش وارف فى ظلال هذا القصر المرتفع الذى يضعف العيون حين تنظر اليه لعظم ارتفاعه ويؤلمها ان تصعد الطرف لترى اعاليه فهو مرتفع عال.

وان هذا القصر لاتساعه وكثرة مافيه من الخدم والجوارى والاتباع كأنه على جبال وبلاد اشتهرت بتعدد أممها ، فليست عظمة القصر فى بنائه وفخامته وارتفاعه فحسب بل فى اتساعه وماضم بين جوانبه من خدم واتباع وجوار وأمم مختلفة كذلك.

ويصف البحترى هذا الايوان الفارسى ويجعل الحياة تدب فى كل جوانبه وأنه افضل ما فى جزيرة العرب من اطلال وقفار وصحراء جرداء الا ان الزمن لم يبق على هذا الايوان وغيره من مآثر الفرس فقد اشتدت يد الدهر اليها وحولت الجديد المشرق الى قديم بال.

وقد اعترف البحترى بما للفرس من مجد عال وملك واسع ثم وصف من آثارهم " الجرماز " وهو بناء ضخم عظيم كان بجوار أبيض المدائن" حيث صار هذا الجرماز موحشا لا انس فيه ولا بهجة وأصبح خرابا

كأنه القبر في وحشته وصمته ، واذا زاره أحد علم ان الليالي لاتدوم على حالة واحدة فقد حولت سعده نحسا وبدلت افراحه مآتم وسروره احزانا ، وعلى الرغم مما حدث لهذا البناء من خراب فانه يدل على أن ساكنيه كانوا أعجوبة الدنيا في فنهم وحضارتهم .

ثم يصف الشاعر صورة لحرب دارت بين الروم والفرس وصورت على جدرانه ويبدع ابداعا فائقا في وصفها ورسمها كأنه فنان ماهر في الرسم والتصوير حيث أشاع فيها الحركة والحياة ، كأنها صورة حقيقية ذات اشخاص واحداث واقعة ماثلة رأى العين فالناظر اليها يحس كأنها ليست صورا مرسومة بل هي صور حقيقية أبدعها الفن الفارسي على جدران الايوان فكأنها تتحرك في عيون الناظرين والمنايا مكشرة عن انيابها في المعركة تختطف انفس الشجعان وملك الفرس أنوشروان " يدير المعركة بنفسه ويدفع جنوده ، تحت العلم الفارسي وانوشروان يلبس ثيابا اتخذ شعارها من الوان ثلاثة : الخضرة والصفرة والحمرة وتجده مختالا بنفسه لايفزع ولايضطرب من هول المعركة ، وجنوده البواسل يخوضون المعركة الشرسة في صمت واصوات خافضة وشجاعة وقسوة ولانجد منهم الا مسددا رمحه وسهمه نحو عدوه او رجلا يتقي طعنه عدوه بمجنه ، ويصف الشاعر الصورة ويفيض عليها الحركة ويمنحها الحياة حيث يجعلها صورا حية تغدو وتروح وتصول وتجول في نشاط وخفة حركة ولاينقضها الا اصوات الرجال بل يشك البحتري نفسه في حقيقة تلك الصور الرائعة ويخيل اليه انه امام أشخاص حقيقيين تدب الحياة فيهم مما دفعه إلى إصرار أصابعه عليها حتى يتحقق انها صور لا حقيقة .

وهكذا أبدع البحترى ابداعا بعد ابداع حين وصف هذه المعركة المرسومة على جدران الايوان وصورها ببراعة معدومة النظير لانجد لها شبيها أو مثيلا ..

وبعد أن وصف المعركة الصورة تحدث عن الايوان نفسه ووصفه ايضا وصفا رائعا : فالايوان عجيب الصنع دقيق الصنعة وهو بالنسبة الى القصر الابيض الذى يضمه ويضم غيره من القصور والمقاصير قليل الحجم ضئيل الساحة حتى كأنه خرق فى جانب جبل أرعن ، والناظر اليه يبدو له حين يرى الكآبة والحزن عليه كأنه عاشق ازعجه فراق محبوبته او زوج وفى محب لزوجته وقد اكره على طلاقها ، وان هذا الايوان كثيرا ما ظللته السعادة الا انه تبدلت حالته فسيطر النحس عليه حتى ان المشترى وهو نجم سعد تحول نحسا فى هذا القصر بتأثير القصر فيه ، وعلى الرغم مما أصاب الايوان من كآبة ونحس فإنه تجلد وتماسك وصبر على الاحداث شأنه شأن العزيز الذى يأبى الذلة والخنوع.

ونلاحظ ان الشاعر هنا يعكس مشاعره وأحاسيسه ويصبها على الايوان فهو قد بدلت حالته الأيام وتجلد وصبر كالقصر الذى تبدلت حالته وتجلد وصبر ، فحالتهما واحدة جار عليهما الدهر وبدل سعادتهما نحسا ومع ذلك تجلدا وصبرا ولم يخضعا .

ثم يستمر البحترى فى وصفه للايوان مظهرا عظمته حيث ذكر ان القصر لم يعبه كل ماحدث له ولا حط من شأنه أنه تعرى من بسط الحرير التى كانت تزينه بل ظل شامخا مرتفعا عالى الشرفات لم تذله الايام ولم يركع لأحداثها وظلت شرفاته عاليه صعبت على الاحداث كأنها

مطلة على قمتى جبل رضوى وقدس ،وان هذه الشرفات العالية للايوان مع حزنها فانها تتشح بالبياض ولاتبصر العين إلا أثوابا بيضاء قد نسجت من القطن وانه من عظم بنائه لا تدرى أهو من صنع الانس للجن ام صنع الجن للانس ؟ الا انه لعظمته يدل على بانيه فلم تشيده الجن بل شيده كسرى القوى الذى لايسرف الضعف كغيره من سائر البشر .

وان هذا القصر قد بناه الفرس ليعمر بالسرور الا أنه قد تبدلت حالته فصار عبرة وعظة للحزانى والمنكوبين .

نرى الى اى حد وصل البحترى فى وصفه للايوان من براعة وروعة فى الوصف والرسم والتصوير انه الوصف الرائع والتصوير البارع حقا تصوير فنان ملهم وفنية صور بارع قد أعطاه الله كل موهبة وملكة فى النفاذ الى أعماق الاشياء ودقائقها ليخرجها لنا شعرا متحركا فيه الحركة والحياة والحيوية والانبهار .

والبحترى لايبارى ولايجارى فى وصفه للايوان بل للقصور بوجه عام حيث اعطى ملكة لم يعطها شاعر سواه .

الا اننا نلاحظ عليه فى هذه الأبيات التى وصف فيها الايوان وما حوله من آثار انه قد خالف نهجه فى الشعر الذى عرف عنه ومذهبه الذى اشتهر به من الرقة والسلاسة والعذوبة فى الألفاظ والبعد عن الغريب الوحشى والصلب الوعر من العبارات حيث نراه هنا يلجأ الى الغرابة اللفظية والوعورة والجهامة فى العبارات وهو بذلك يخالف ذوقه ومذهبه بل يخالف روح العصر العباسى الذى عاش فيه ، وقد يكون له العذر

فى ذلك فالشاعر قد نظم هذه القصيدة فى محنة عظيمة ألمت به ما رأى مثلها من قبل فقد عاش طوال حياته فى رغد من العيش ولم يعرف الفقر وظلم الايام الا بعد ما غضب عليه الخليفة المنتصر بعد وفاة أبيه المتوكل وتعرضه للهجاء للمنتصر.

وأفكار الأبيات واضحة جلية لالبس فيها ولاغموض ولا تعقيد او التواء وقد استمدها من مشاعره واحاسيسه ومن الاحداث والفواجع التى ألمت به وبالقصر الموصوف ، كما بعد بها عن العمق والفلسفة بما يتفق ومذهب الشاعر كما اعتمد على بعض الوان البديع خاصة الطباق وبعض الوان البيان فى ابراز صورة وتصوير صوره ومشاهده ، الا انه لم يسرف فيها كأبى تمام.

كما يلاحظ ان الشاعر قد تفاعل مع الطبيعة وبثها همومه واحزانه وفواجعه وعبر عن مشاعره وعواطفه الشخصية تجاه الطبيعة فهو حزين لحزن الايوان متألم لالمه مشترك معه فى همومه ومصائبه وساحل بهما من كوارث وفواجع ونكبات ، هذا وللشاعر اشعار اخرى كثيرة فى وصف القصور والمدن والقرى وما الى ذلك (١).

---

(١) ينظر ديوانه ص ٧٠٨ ص ٧١٠ ، ص ٩٤٣ وص ٦ جـ١ وص ١٣١١ جـ٢ و ص ١٣٧٧ و ص ١٥١٠ ، ص ١٤١٩ جـ ٣ و ص ٢١٧٠ جـ٢ و ص ١٦٣٠ جـ ٣

وهكذا عرف البحترى شعر الطبيعة الحية والصامتة ووصفها وصفا رائعا وصورها تصويرا دقيقا يوحى بعظمة الشاعر وفنيته فى هذا الفن الشعرى ، وبما يوحى بأنه عشق الطبيعة واحبها بكل احاسيسه ومشاعره وعبر عنها بكل الاصالة والصدق بل يعد شعر الطبيعة والوصف عند البحترى النغمة العظيمة التى برزت فيها أصالته وشاعريته ومقدرته وبراعته حيث عاش فيها مع كل حركة وكل همسة معيشة محب مغرم عاشق لها يرى الطبيعة من حوله وقد تحولت كلها الى حركة وتفاعل حتى يغنى فيها فناء أصحاب المنزع الرومانسى .

"الفصل الخامس" الخصائص الفنية

١ـ بناء القصيدة .
٢ـ موضوعات شعر الطبيعة .
٣ـ اللغة والأسلوب .
٤ـ الخيال والتصوير .
٥ـ الموسيقى .

الخصائص الفنيـــة :

تميزت أشعار الطبيعة عند البحترى بخصائص فنية واضحة منهـــا ما هو قـديم موروث منذ العصور السابقة ومنها الجديد المبتكر الـــذى جـد فى عصـر الشاعر وجـاءت به مخيلته وشاعريته سـواء كان هـــذا فى بناء القصيدة او موضوعات شعر الطبيعة عنده او فى اللغة أو التصويـر والموسيقى وغيرها من الخصائص الفنية التى اتسـمت بها أشـعار الطبيعة عنده : —

أولا : بناء القصيدة :

يلاحظ ان القصيدة فى شعر الطبيعة عند البحترى اتخذت اشـــكالا مختلفة وبناءا متعددا ، فغالبا كانت الطبيعة تأتى فى قصيدة متعددة الأغراض حيث كان الشاعر يصفها اثناء قصيدة مدح لخليفة او وزيـــــر او قصيدة فخر او قصيدة رثاء ،غير ذلك ويتجلى ذلك فى مقطـــــع شعر الطبيعة عند البحترى (١) وأحيانا اخرى قليلة كانت تأتى القصيـدة فى وصف الطبيعة مستقلة لايشركها غرض آخر سوى وصف الطبيعـــــة وذلك مثل قوله يصف المطـر : (٢)

ذات ارتجاز يحنون الرعد
مجرورة الذيل صدوق الوعد

---

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر ديوانه جـ١ ص ١٩٦ و ص ٣٩٩ وجـ ٢ ص ٨٥٧ و ص ٨٦٦ ، و ص ٢٥٥٧ ، ص ٢١٤٩ و ص ٢٤٤٤ ، وص ٢٦٦٣ جـ ٤ .
(٢) ص ٥٦٧ جـ١ ديوان البحترى .

مسفوحة الدمع لغير وجـــد

لها نسيم كنســـيم الورد

وزنة مثل زئير الأســـد

ولمعة برق كسيف الهند

جاءت بها ريح الصبا من نجد

فانتشرت مثل انتشار العقد

فراحت الأرض بعيـش رغـــد

من وشي أنوار الربى في برد

كأنما غدرانها في الوهـــد

يلعبن من حبابها بالـــنرد

فالقصيدة كلها في وصف الطبيعة ولم يصف الشاعر الطبيعة فيهـــا ضمن قصيدة متعددة الأغراض.

وجاءت قصيدة الطبيعة في شعر البحتري أحيانا في مقطوعات قصيـــرة كمـــا مر في المثال الســـابق ـــــــــ

ومثل قوله فى مقطوعة صغيرة يصف الطبيعة (١) :

حيتك عنا شمال طاف طاغيها

فى حبة نفحت روحا وريحانا

غنت سحيرا فناجى الغصن صاحبه

سرا بها وتداعى الطير اعلانا

ورق تغنى على غصن مهدلة

تسمو بها وتمس الأرض أحيانا

تخال طائرها نشوان من طرب

والغصن عن هزه عطفيه نشوانا

وأحيانا اخرى تأتى الطبيعة فى قصائد أخرى طويلة مثل قصيدته التى وصف فيها الذئب وقصته معه (٢) .

---

(١) ص ٢٦٧٦ جـ٣ ديوان البحترى .

(٢) ينظر ديوانه جـ ٢ ص ٧٤٠

الا ان الطابع الغالب لشعر الطبيعة عند البحترى لم يظهر كغرض مستقل الا قليلا فى بعض المقطوعات والقصائد إلا انها امتزجت مع اكثر الاغراض الشعرية الاخرى عنده خاصة فن المدح الذى كان اكثر الاغراض الشعرية امتزاجا بالطبيعة حيث يتحول من مدح الممدوح الخليفة الى وصف قصوره وبركه وقواراته ورياضه وبساتينه كما جاءت الطبيعة ممتزجة مع فن الغزل والخمر والرثاء.

هذا وقد تعددت وتنوعت موضوعات الطبيعة عند البحترى فوصف القصور والمدن والبرك والقوارات والربيع والرياض والازهار والسفن والسحب والامطار والليل والشمس والقمر والماء كما وصف الخيل والاسد والذئب والناقة والبغل وما الى ذلك من مظاهر وموضوعات الطبيعة الحية والصامتة.

ومما لاشك فيه ان البحترى كان أول شاعر يصف البرك فى الشعر العربى فقد سبق كل الشعراء الذين وصفوها بل ابدع فيها ابداعا فاق كل من جاء بعده من الشعراء الذين وصفوها ولقد مرت الامثلة التى وصف فيها البرك وأجاد فيها اجادة فائقة.

كذلك يعد البحترى أبرع شاعر عربى وصف القصور وابدع فى وصفها ايما ابداع فكان مهندسا معاصرا يرسم الأبنية ويصف صورها واوصافها فى شعر غنائى يتخيل فيه الغمام والبرود والعذارى تختلط فى لوحة فنية.

اللغة والأسلوب :

هى اداة الفن الشعرى ووسيلة ابرازه وهى المحور الذى تكاد تدور حوله معظم البحوث النقدية فهى تلعب الدور الاساسى فى نقل التجربة الانسانية وتوصيلها (١).

واذا نظرنا الى لغة الشعر عند البحترى بوجه عام نجد انه من اكبر الشعراء العباسيين الذين حافظوا على سلامة اللغة وقواعدها ونحوها وتمسك ببلاغتها وقوتها وترسم فصاحتها وعذوبتها فى شعره ولاغرابة فى ذلك فالبحترى نشأ فى البادية وجالس العلماء والفقهاء منذ طفولته ودرس الادب القديم واللغة والنحو والصرف دراسة واعية فلغة الشعر عند البحترى تتميز بجزالة اللفظ ومتانة التراكيب ورصانة واحكام الاسلوب كما جاءت حلوة عذبة يألفها السمع وتتقبلها الآذان والأسماع.

واذا نظرنا الى شعره فى الطبيعة نجد البحترى يتمثل فيها مذهبه فى اللغة من المحافظة على سلامتها وقوتها وحلاوتها وعذوبتها الا اننا نراه احيانا يلجأ الى الغرابة اللفظية والوعورة والجهامة فمن عباراته نراه يكثر من الالفاظ الغريبة وغير المألوفة كما يتمثل ذلك فى قصيدته السينية التى وصف فيها ايوان كسرى.

---

(١) ص ٢٧ ابو نواس وقضية الحداثة فى الشعر / د / العربى حسن درويش ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م.

والبحترى من ابرع الشعراء الذين وقفوا فى حسن الملاءمة بين الالفاظ والمعانى واختيار الالفاظ والكلمات الملائمة للمعانى ، واستطاع أن يرتفع باصطفاء الكلمات والملاءمة بينها فى الجرس بل بين حروفها وحركاتها ملائمة تحته الى مرتبة موسيقية لم يلحقه فيها [illegible] (١)

فالبحترى شاعر محافظ حافظ على سلامة اللغة العربية القديمة وأنه ابتعد عن الالفاظ الغريبة الوعرة وآثر الالفاظ الحلوة العذبة الا قليلا .

ومن سمات لغة شعر الطبيعة عند البحترى وجود بعض الالفاظ الاعجمية خاصة الفارسية منها فى شعر الطبيعة وذلك مثل الفاظ : السمك والنرجس والسندس والديباج والنيروز وانوشروان وكسرى وشاهنشاه والدير وما الى ذلك من الالفاظ الاعجمية التى وردت فى شعر الطبيعة عند البحترى وذلك مثل قوله فى وصف الايوان : (٢) .

والمنايا مواثل وانوشر
وان يزجى الصفوف تحت الدرفس

فلفظ " الدرفس " لفظ فارسى معرب معناه : العلم الكبير .

ومثل قوله : (٣)

لم يعبه أن برز من بسط الديـ
ـباج واستل من ستور الدمقس

(١) ص ٢٨٨ العصر العباسى الثانى د / شوقى ضيف
(٢) ص ١١٥٦ جـ ٢ ديوانه
(٣) ص ١١٥٩ جـ ٢ ديوانه

فلفظ " الديباج " ولفظ " الدمقس " فارسى معرب .
ومثل لفظ " السندس " الذى ورد فى قوله يصف الرياض : (١)

هذى الرياض بدا لطارقك نورها
فلأرتك أحسن من رياط السندس

ولفظ : المسك " (" والنرجس " فى قوله يصف الرياض : (٢)

متحليا من كل حسن مونق
متنفسا بالمسك أى تنفس

فاذا طربت الى العيون وغنجها
فأجل لحاظك فى عيون النرجس

ولفظ " نيروز " فى قوله يصف قصر الكامل : (٢)

وغدا بنيروز عليك مبارك
تحويل عام اثر عام حائل

وهكذا وردت بعض الألفاظ الاعجمية فى شعر الطبيعة عند البحترى وجاءت بين ثنايا أبياته فيها .

---

(١) ص ١١٧٩ جـ٢ ديوانه
(٢) ص ١٦٤٥ جـ ٣ ديوانه

وظل البحترى يفهم الشعر على انه طبع وموهبة وظل ذوقه فى مجمله لايأبه للتنميق السرف ولم يأبه بالثقافات الفلسفية والمنطقية فلم يستطع ان ينهض بالتعبير عن الرقى العقلى وصناعة الشعر الجديدة كابى تمام ومسلم بن الوليد وغيرهم من شعراء العصر الذين تنمقوا العقل وتأنقوا اللفظ وجعلوا البديع مذهبا وصنعة ، بينما حافظ البحترى على الاساليب العربية الموروثة وعلى عمود الشعر العربى ، فأسلوبه اقرب مايكون الى اسلوب البادية .

وليس معنى هذا ان البحترى ظل متمسكا بالقالب القديم دون أن يتأثر فى اسلوبه بالجديد كلا إنه قد احتفظ بالقديم الموروث مع اخذه بحظ من حضارة عصره خاصة فى شعره فى الطبيعة .

ونرى بعض النقاد امثال ابن رشيق يعد البحترى من أصحاب مذهب الصنعيين أمثال ابى تمام ومسلم بن الوليد وأمثالهما حيث يقول فى حديثه عن البحترى وابى تمام : " وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها .... واما البحترى فكان أملح صنعة واحسن مذهبا فى الكلام ويسلك منه دماثة وسهولة مع احكام الصنعة وقرب المأخذ (١) "

وهذا فى حد ذاته غلو واضح فالبحترى لم يكن كأبى تمام فى تصنعه وصنعته فشتان بينهما : حيث اتخذ ابو تمام البديع مذهبا له يصوغ عليه كل اشعاره بينما البحترى احتفل به الا انه لم يتخذه صنعة ومذهبا .

---

(١) ص ٨٤ ج ١ العمدة لابن رشيق .

فنرى البحترى مثلا يحتفل بالطباق ويضمنه أشعاره فى الطبيعة دون ان يتعمق فيه او يفلسفه فلسفة ابى تمام بل جاء نحو الخاطر وعن طبع وذلك مثل قوله فى وصف قصر الجعفرى : (١)

وعلو همتك التى دلت على
صغر الكبير وقلة المستكثر

فقد طابق الشاعر بين:
"صغر" والكبر " وبين "قلة" المستكثر"

والطباق والمقابلة من الأمور الفطرية المذكورة فى الطباع التى لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام ، اذ الضد اقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده فهما من مقتضيات الأحوال وموجبات الاغراض (٢) .

ومن أسلوب الطباق فى شعر الطبيعة عند البحترى قوله فى وصف قصر الجعفرى :

محل على القاطول أخلق دائرة
وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره

---

(١) ص ١٠٤١ ج ٢ ديوانه

(٢) ص ٤٧١ الصبغ البديعى للدكتور / احمد ابراهيم موسى .
دار الكاتب العربى ١٣٨٨ هـ

كأن الصبا تؤفى نذورا إذا انهرت

تراوحه أذيالها وتباكره (١)

حيث طابق بين : تراوحه وتباكره ، فهما متضادان .

ومثل قوله يصف القصر :

تغير حسن الجعفرى وأنسه

وتوض بادى الجعفرى وحاضره

فطابق بين بادى وحاضر .

ومن الطباق قوله فى وصف قصر الكامل : (٢)

لبست من الذهب الصقيل سقوفه

نورا يضيء على الظلام الحافل

فترى العيون يجلن فى ذى رونق

متلهب العالى أنيق السافل

حيث طابق بين النور والظلام . وطابق بين : العالى والسافل .

---

(١)

(٢) ص ١٠٤٥ ج ٢ ديوانه

هذا والأمثلة على ذلك كثيرة الا أن الامر الذى نحب أن نشير اليه هو أن البحترى لم يتخذ البديع مذهبا وصنعة كأبى تمام ومسلم بن الوليد وانما جاءت الوانه عفوا وعن طبع بين ثنايا ابياته فى شعر الطبيعة وشعره بوجه عام ، فكان يستخدم ألوان البديع ولكن كان فى يسر وسهولة دون أن يعقد فيها كما عقد أبو تمام ومسلم بن الوليد وغيرهما من المصنعين ، وهى ألوان ساذجة لاتعقيد فيها ولا تعب ولا عناء ولامشقة ، بل ألوان طبيعية سهلة سلسة جاءت عن طبع وعن عفوية .

ومعانى البحترى وأفكاره واضحة جلية لا لبس فيها ولاغموض ولاتعقيد ولا التواء يبعد بها عن العمق والفلسفة والمنطق وجاءت ساذجة دون عمق واغراق فلسفى .

الا انه يلاحظ كذلك كثرة التفصيل فى وصف الطبيعة والتدقيق فى الوصول الى خفايا الموضوع الذى يتناوله فى وصفه وصفا خصبا معبرا عن مشاعره واحاسيسه متفاعلا مع العنصر الطبيعى الذى يصفه ويصوره ويتجلى ذلك بوضوح فى وصفه لإيوان كسرى ووصف قصر الجعفرى بعد مقتل الخليفة المتوكل .

الخيال والتصوير والموسيقى

ذهب الباحثون والدارسون فى تعريف الخيال وتحديده مذاهب متباينة كثيرة ، فقد عرفه البعض : " بانه تجسيم الحقائق وتكبيرها بقصد التوضيح والتزيين واضافة بعض الاصباغ الى الصورة الأم لتقوية المعنى وايقاظ المشاعر وتنبيهها ولفت انتباهها (١) .
او إبراز الافكار وتوضيحها فى قوالب من المجاز المشتمل على التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل وغيرها كما ذهب معظم النقاد الأقدمون كالآمدى والجرجانى وابن رشيق وغيرهم . والكلام المشتمل على الخيال اكثر روعة واحسن موقعا فى القلوب والاسماع (٢) اذا حقق فائدته واضاف جديدا الى المعنى الحقيقى .

أما الصورة فهى عبارة عن العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى فى نص ادبى والحصيلة الناجمة عن اقترانهما فليست هى اللفظ بمفرده ولا المعنى بمفرده ، ولكنها الخصائص المشتركة بينهما والتى تنتظم بها شخصية النص الأدبى (٣) سواء كانت ناجمة عن كلام مشتمل على التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز أم لا .

---

(١) ص١٤٣١ اتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى / د يوسف بكار / طبعة دار المعارف .
(٢) ص٢٧٨ جـ١ العمدة لابن رشيق .
(٣) ص٥١ ابو نواس وقضية الحداثة فى شعره .

وقد احتل التشبيه والاستعارة الجانب الأكبر فى تشكيل الصورة وتوضيح مفهومها عند البحترى ، وتكاثفت الاستعارة مع التشبيه لتطبيع الصورة الفنية بطابع خلاق مبتكر فى شعر الطبيعة عند الشاعر حيث اعتمد عليهما اعتمادا كبيرا فى إبراز صوره وتصوير مشاهده مما أتاح له أن يحرك الساكن ويبعث الحيوية فى مشاهد الطبيعة الصامتة والحية على السواء ، فكان بذلك ـ ومقدرته الفائقة على اختيار الالفاظ والتلاؤم بينها ـ فنانا بارعا ومصورا فنانا فى توليد الصور واستخراجها من مكامنها لينظم بها شعرا رائعا فى وصف الطبيعة يملأ النفس اعجابا والعقول حيرة ودهشة حتى أصبحت له شهرته العظيمة ومقدرته الفذة فى تصوير الاشياء تصويرا دقيقا بارعا .

ومما أعانه على ذلك مشاعره المرهفة والاحساس العميق بخفايا الأشياء والبراعة المعدومة النظير فى وصفها وصفا يجسدها تجسيدا حيا فى الحركة والروح والحياة والنشاط والحيوية والبهاء والجمال والجلال .

وقد كان التشبيه أبرز مظاهر التصوير عند البحترى حيث أكثر منه فى وصفه وتصويره ، وشعره فى الطبيعة يزخر بهذا اللون من الخيال والتصوير ومن ذلك قوله يصور قصر المعشوق : (١)

وطالع الشمس على موعد

بمثل ضوء الشمس عند الشروق

---

(١) ص ١٤٦٣ جـ٣ ديوانه .

فقد شبه ضوء المعشوق بضوء الشمس عند الشروق وهو تشبيه رائع يجسد وصف القصر وتصوير نوره تصويرا دقيقا حيث انعكس الضياء على القصر المذهب فكان الضياء الاصفر المذهب كضياء الشمس عند الشروق.

ومن التشبيه فى شعر الطبيعة قوله فى وصف " الكامل " :

وكأن حيطان الزجاج بجوه
لجج يمجن على جنوب سواحل

وكأن تفويف الرخام إذا التقى
تأليفه بالمنظر المتقابل

حبك الغمام رصعن بين مشعر
ومسير ومقارب ومشاكل (١)

حيث يشبه حيطان القصر باللجج التى تموج وهو تشبيه رائع مبتكر ويشبه تفويف الرخام بحبك الغمام الموشاة والمزخرفة وهو تشبيه جديد مبتكر ايضا لم يألفه الشعر العربى القديم.

ونراه يشبه الفرس بالبناء الضخم وسرعته بسرعة العقاب فى قوله يصف الفرس : (٢)

---

(١) ص ١٦٤٤ جـ ٣ ديوانه
(٢) ص ١٧٤٠ جـ ٣ ديوانه

وأغر في الزمن البهيم محجل
قد رحت منه على أغر محجل

كالهيكل المبني إلا أنه
في الحسن جاء كصورة في هيكل

يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت
صيدا وينتصب انتصاب الأجدل

هذا والأمثلة على ذلك كثيرة تزخر بها أشعاره في وصف الطبيعة الحية منها والصامتة.

كذلك اعتمد البحتري اعتمادا كبيرا على فن الاستعارة في تصويره مشاهده، وتجسيد وابراز صوره واتخذ منها متكئا لبعث الحياة والروح والحركة في صوره ومشاهده، فالصامت الساكن يحركه ويمنحه الحياة بفضل الاستعارة والحي المتحرك يزيده حركة ونشاطا ويمنحه الجمال والجلال بفضلها كذلك والامثلة على ذلك كثيرة ويزخر بها شعر الطبيعة في ديوانه أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله في وصف الربيع :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النوروز فى غلس الدجـــــى
أوائل ورد كن بالأمس نومـــــا

يفتقهـا برد النـدى فكأنـه
يبث حديثا كان أمس مكتمـــا

إلى آخـر الأبيات .

حيث يجعل الشاعر الربيع يختال ويضحك ويتكلم والنوروز ينبـــه الورد والورد كان نائما والندى يتحدث إلى غير ذلك من تصوير الربيـــع والطبيعة ووصفها وصفا يشيع فيها الحركة ويمنحها الروح والحيـــــاة بفضل الاستعارة وبفضل الالفاظ المنتقاة التى اختارها الشاعر لوصـــف .

هذا والامثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة فى وصف الطبيعة عنده ســـواء كانت حية ام صامتة كوصفه القصور والرياض وايوان كسرى ووصف البـــرك وما الى ذلك حيث كانت هذه الاشعار فى وصف الطبيعة حية متحركـــة حتى كأننا نراهـا رأى العين تحس وتتحرك امامنا .

أما من ناحية الموسيقى : فقد نظم الشاعر فن الطبيعة على بحـــور الشعر العربى المعروفة منذ القدم ولم يخرج على العروض او يبتكر فيـــه فهو شاعر محافظ التزم بالوزن والقافية التزاما تاما ، لأن العرب يشترطون

فى شعرهم الوزن والقافية وإلا فهو ليس من قبيل الشعر عندهـــم[١]

والبحترى شاعر التزم بكل ما هو عربى شكلا ومضمونا وإن ظهرت بعض آثار الحضارة والجـديد فى شعره..

كما يتميز البحترى من بين شعراء عصره بمقدرته الفائقة على استخدام الألفاظ والتناسب بينها مما جعل لشعره جمالا موسيقيا بديعا نبع من بين طيات الألفاظ ، فقد استطاع أن يرتفع باصطفاء الكلمات والملاءمـــة بينهـا فى الجرس بل بين حروفها وحركاتها ملاءمـة رفعته الى مرتبـة موسيقية لم يلحقـه فيها سابق ولا لاحـق[٢].

---

(١) ص ٢٣ جـ ٣ التمدن الاسلامى / لجورجى زيدان .

(٢) ص ٢٨٨ العصر العباسى الثانى / د / شوقى ضيف.

" الخاتمـــة "

أما بعد : فقد تناولت فى بحثى هذا " الطبيعة فى شـــعر البحترى " شعر الطبيعة فى ديوان الشاعر ووضحت الموضوعات التـى تناولها الشاعر فى شعره الطبيعى سواء كانت حية أم صامتة وكشـــفت السابق الذى تأثر به واقتفاه والجديد الذى أضافه الشاعر إلى شعر الطبيعة وقد اشتمل البحث على مقدمة وخمسة فصـول وخاتمة .

تحدثت فى المقدمة عن عنوان البحث وأهميته وأهم المصادر والمراجع التى استعنت بها فى البحث .

وفى الفصل الأول : تحدثت بايجاز عن حياة الشاعر ونشأته وثقافتـــه وشعره ومذهبه الفنى ومكانته بين الشعراء .
فذكرت نسبه واسمه وكنيته ومولده ووفاته متعرضا لآراء الباحثين والدارسين حول كل ذلك ذاكرا رأيى الخاص فى كل منها .

ثم تعرضت لثقافة الشاعر ووضحت ان ثقافة البحترى كانت عربية خالصة مع أخذه من الثقافة الجديدة ولكن كان ذلك بمقدار .

ووضحت أن البحترى تأثر بالشعراء السابقين عليه فى شعره وثقافتـــه خاصة أستاذه أبى تمام . ثم تحدثت عن الموضوعات الشعرية التـــى تناولها الشاعر ووجدت أن شعر " المدح " كان أكثر الأغراض الشعرية تناولا فى ديوانه حـــيث عاش الشاعر متكسبا بشعره يعرضه على الخلفاء حتى ينال جوائزهم هم والوزراء وكبار رجال الدولة ووجدت انه كـــان قليل الهجاء غير مطبوع عليه حيث لم يجده لأنه لم يتقن أســـبابه

وبعد بنفسه عن بواعثه .
وانه أجاد فن الرثاء والغزل وعبر فيهما عن مشاعره وعواطفه وأنه كان اكثر الشعراء ذكرا لطيف الحبيب وشهر به شهرة فائقة .

ووضحت أنه اشتهر بمقدرة فائقة على فن وصف الطبيعة وأن الشعر الطبيعى عنده كان أجود أنواع شعره وهو الفن الذى ظهرت فيه أصالته ومقدرته فكان وصف الطبيعة أروع موضوع عنده لأنه حينما يصف يصف بعينه وقلبه ومشاعره

كما ذكرت انه قد عرف بقية الأغراض الشعرية الأخرى من فخر وعتاب واعتذار وغيرها فى شعره .

ثم تحدثت عن مذهبه الفنى وأوضحت أنه كان يؤثر الطبع والسهولة فى شعره وانه قد حافظ على سلامة اللغة ورونقها كما ابتعد فى شعره عن الفلسفة والتصنع ولم يحتفل بهما احتفال أبى تمام ، وأنه اهتم بالجانب الموسيقى اهتماما كبيرا حيث كان ذا مقدرة فائقة فى استخدام الألفاظ والمشاكلة بينها وبين المعانى ، ثم وضحت مكانته بين الشعراء متعرضا لآراء الناقدين فيه موضحا رأى الخاص فيه .

والفصل الثانى : تعرضت فيه لشعر الطبيعة قبل البحترى فى العصر الجاهلى والاسلام والأموى والعباسى ذاكرا ماعرف من موضوعات الطبيعة فى هذه العصور والى أى حد وصل شعر الطبيعة فى هذه العصور قبل البحترى مستدلا لذلك بالنماذج الشعرية متعرضا لها بالشرح والنقد والموازنة .

فوضحت ان العصر الجاهلى قد عرف الطبيعة الحية والصامتة الموجودة فى البيئة الا أن فن الطبيعة لم يأت كغرض مستقل .

كذلك كان الحال فى العصر الاسلامى ، وفى العصر الأموى اتسع الأفق العام لهذا الفن الشعرى إلا أن الشعراء الأمويين ظلوا على الأوصاف والتشبيهات القديمة منذ العصر الجاهلى ، فضلا عن وجود مقطوعات مستقلة فى وصف الطبيعة .

وفى العصر العباسى الأول : ازدهر شعر الطبيعة ازدهارا واضحا حيث أصبح شعر الطبيعة موضوعا شعريا قائما بذاته فضلا عن وجود موضوعات جديدة بجوار الموضوعات القديمة تناولها شعراء الطبيعة فى هذا العصر فضلا عن ابتكار الصور والتشبيهات التى استقاها الشعراء من الحياة الجديدة التى وجدت فى العصر العباسى .

وفى الفصل الثالث : تناولت شعر الطبيعة الحية عند البحترى وأثبت أنه أجاد فى وصفها وبرع فيها خاصة وصف الخيل والذئب والأسد مثبتا ذلك بالنماذج الشعرية متعرضا لها بالشرح والنقد والتحليل والموازنة مثبتا أن البحترى كان أبرع من وصف الخيل وأتقن وصفها والتفنن فيها حتى ليسبق فى هذا الوصف معاصريه .

كما برع البحترى فى وصف الأسد وافتن فى تصويره متفننا فى خياله ووصفه ، وعلى هذه الشاكلة وصف الذئب والناقة .

وفى الفصل الرابع : تحدثت عن شعر " الطبيعة الصامتة " عند البحترى ووضحت أنه وصف كثيرا من موضوعاتها : كوصف الأطلال والسحاب والبرق والبرك والقوارات والقصور والأبنية والأماكن والمدن والربيع والرياض والأزهار وغيرها من مظاهر الطبيعة الصامتة وأثبت أنه كان فنانا بارعا حين وصف الربيع والرياض والبرك والقصور حيث تفوق فى كل ذلك على كثير من الشعراء المعاصرين واللاحقين مثبتا كل ذلك بالنماذج الشعرية متعرضا لها بالشرح والنقد والتحليل والموازنة .

وفى الفصل الخامس : تعرضت للخصائص الفنية لشعر الطبيعة عند البحترى سواء كان فى بناء القصيدة : حيث اثبت أن البحترى قد عرف القصيدة والمقطوعة المستقلة فى وصف الطبيعة بجوار الطبيعة فى قصيدة أخرى . أو اللغة والأسلوب : حيث حافظ الشاعر على سلامة اللغة وحافظ على قوتها وعذوبتها وأنه أحيانا يغرب فى ألفاظه الا أن ذلك كان قليلا . أو الخيال والتصوير حيث اختل التشبيه والاستعارة الجانب الأكبر فى ابراز صور الشاعر وتصويره فضلا عن الصور التى وجدت من الملاءمة بين الألفاظ والمعانى وحسن استخدام الألفاظ فى موضعها الملائم .

ثم تعرضت للموسيقى عنده : حيث حافظ البحترى على التزام الوزن والقافية فى شعره ولم يخرج عليهما فى شعر الطبيعة بل فى سائر أشعاره ، وحيث كانت للشاعر مقدرة فائقة على انبعاث

الموسيقى من بين طيات ألفاظه فقد كان البحترى من أبرع الشعراء في حسن استخدام الألفاظ والتناسب والتنسيق بينها تناسقا عظيما .

وهكذا سرت في بحثي ومع البحترى في شعره الطبيعي وأرجو الله والتوفيق والسداد ، وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب ".

دكتور
عبدالهادى عبدالنبى على

" مصادر البحث "

١ـ اتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى د / يوسف بكار طبعة دار المعارف .

٢ـ أبو نواس وقضية الحداثة فى الشعر د / العربى حسن درويش الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٨٧ .

٣ ـ الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى جـ ٣ وجـ ١١ وجـ ٢١ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤ ـ البحترى درس وتحليل تأليف الاستاذ / اسحاق كنعان .

٥ ـ تاريخ الأدب العربى " العصر الاسلامى " للدكتور شوقى ضيف الطبعة التاسعة دار المعارف .

٦ ـ تاريخ الادب العربى (العصر الجاهلى " للدكتور شوقى ضيف الطبعة العاشرة دار المعارف .

٧ ـ تاريخ الأدب العربى " العصر العباسى الاول " للدكتور شوقى ضيف طبع دار المعارف .

٨ ـ تاريخ الأدب العربى " العصر العباسى الثانى " للدكتور شوقى ضيف الطبعة الخامسة دار المعارف .

٩ ـ التمدن الاسلامى / لجورجى زيدان / الجزء الثانى

١٠ ـ جواهر الأدب فى أدبيات وانشاء لغة العرب " تأليف السيد الهاشمى طبع : مؤسسة المعارف ببيروت .

١١ ـ " الحيوان " تأليف ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .

١٢ ـ ديوان أبى تمام ، طبعة دار المعارف

١٣ ـ ديوان أبى فراس . منشورات الفكر ببيروت

١٤ ـ ديوان أبى نواس ، تحقيق احمد الغزالى مطبعة مصر ١٩٥٣ وطبعة بيروت .

١٥ ـ ديوان ابن الرومى ، تحقيق كامل كيلانى طبع عام ١٩٢٤م

١٦ ـ ديوان الأعشى ، طبعة بيروت عام ١٩٦٦ م .

١٧ ـ ديوان أوس بن حجر .

١٨ ـ ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الرابعة دار المعارف .

١٩ ـ ديوان ابن المعتز ، تحقيق / محمد بديع شريف دار المعارف

٢٠ ـ ديوان البحترى ، تحقيق / حسن كامل الصيرفى ، دار المعارف بمصر

٢١ ـ ديوان تميم بن المعز لدين الله ، مطبعة دار الكتب المصرية الطبعة الاولى عام ١٩٥٧

٢٢ ـ ديوان جرير بشرح / محمد اسماعيل الصاوى ، مكتبة الحياة ببيروت .

٢٣ـ ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق / د رشيد حتفى حسـن الطبعة الاولى دار المعارف.

٢٤ ـ ديوان الفرزدق ، تحقيق كرم البستانى / دار صادر بيروت

٢٥ ـ ديوان الصنوبرى / تحقيق / احسان عباس / دار الثقافة بيروت عام ١٩٧٠

٢٦ ـ ديوان على بن الجهم.

٢٧ ـ ديوان عنترة ، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الاولى.

٢٨ ـ زهر الآداب ، للحصرى ، جـ ١ وجـ ٢ شرح زكى مبارك الطبعة الثالثة عام ١٩٥٣

٢٩ ـ الصبح البديعى للدكتور احمد ابراهيم موسى ، دار الكاتب العربى ١٣٨٨هـ

٣٠ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق / عبدالستار احمد فراج

٣١ ـ طبقات الشعراء " لابن سلام " تحقيق / محمود شاكر

٣٢ ـ عبقرية البحترى / عبدالعزيز سيد الأهل : / الطبعة الاولى دار العلم ١٩٥٣ م

٣٣ ـ العقد الفريد " لابن عبد ربه الأندلسى " الجزء الثانى ، طبع المكتبة التجارية.

٣٤ - العمدة " لابن رشيق " تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد
الجزء الاول والثانى .

٣٥ - فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين / د مصطفى الشكعة
مطبعة المعرفة عام ١٩٥٨

٣٦ - فى الشعر العباسى الرؤية والفن د / عز الدين اسماعيل
دار المعارف عام ١٩٨٠ .

٣٧ - فى الأدب الأندلسى " جودت الركابى " الطبعة الرابعة
دار المعارف

٣٨ - الفن ومذاهبه فى الشعر العربى " د / شوقى ضيف
الطبعة العاشرة دار المعارف بمصر

٣٩ - الكلام فى شعر البحترى وابن تمام / محمد طاهر الجبلاوى
طبعة دار الفكر العربى .

٤٠ - معجم الأدباء " ياقوت الرومى الحموى " جـ ١٩ مطبوعات
دار المأمون عام ١٩٣٦

٤١ - معجم البلدان " ياقوت الحموى " جـ ٢ مطبعة دار بيروت
للطباعة ١٩٥٧

٤٢ — من حديث الشعر والنثر د / طه حسين ، الطبعة الاولى عام ١٩٣٦ دار المعارف بمصر .

٤٣ — المنتخب من أدب العرب ، جـ٣ وجـ٤ نخبة من الأساتذة العرب.

٤٤ — الموازنة بين الشعر " طبع دار الكاتب العربى ، الطبعة الثانية القاهرة عام ١٩٣٦ م

٤٥ — النجوم الزاهرة " لابن ثغرى " جـ٢ وجـ٣ طبعة دار الكتب المصرية الطبعة الاولى.

٤٦ — الوصف فى الشعر العربى (العصر الجاهلى) عبد العظيم قناوى / الطبعة الاولى مطبعة الحلبى القاهرة.

٤٧ — وفيات الأعيان " لابن خلكان " جـ٢ ز ، طبعة محمد محى الدين عبد الحميد .

٤٨ — يتيمة الدهر ، للثعالبى " تحقيق / إيليا الحجاوى.

الفهرست

		صفحة
المقدمة		أ ـ ب
الفصل الأول :	حياة الشاعر ونشأته	١ ـ ١٨
الفصل الثانى :	شعر الطبيعة قبل البحترى"	٢١ ـ ٥٥
	١ـ العصر الجاهلى .	٢٢ ـ ٣٤
	٢ـ العصر الاسلامى .	٣٥ ـ ٤٠
	٣ـ العصر الأموى .	٤١ ـ ٤٦
	٤ ـ العصر العباسى	٤٧ ـ ٥٥
الفصل الثالث :	الطبيعة "الحية" فى شعر البحترى"	٥٩ ـ ٧٩
	١ ـ وصف الفرس	٥٩ ـ ٦٩
	٢ ـ وصف الأيل	٧٠ ـ ٧٢
	٣ـ وصف الأسد	٧٢ ـ ٧٥
	٤ ـ وصف الذئب	٧٥ ـ ٧٩
الفصل الرابع :	الطبيعة الصامتة فى شعر البحترى"	٨٢ ـ ١٤١
	١ـ وصف الأطلال	٨٢ ـ ٨٤
	٢ـ وصف المطر والسحاب	٨٤ ـ ٩٠
	٣ ـ وصف البرك والغوارات	٩١ ـ ١٠١
	٤ ـ وصف الربيع والرياض	١٠٢ ـ ١١٥
	٥ ـ وصف القصور والمدن"	١١٦ ـ ١٤١

الفصل الخامس : الخصائص الفنية فى شعر الطبيعة عند البحترى: صفحة
١٤٤ ـ ١٦٠
١ ـ بناء القصيدة ١٤٤ ـ ١٤٧
٢ ـ اللغة والأسلوب ١٤٨ ـ ١٥٤
٣ ـ الخيال والتصوير والموسيقى . ١٥٥ ـ ١٦٠

الخاتمة ١٦١ ـ ١٦٥

المصادر والمراجع ١٦٦ ـ ١٧٠

الفهرست ١٧١ ـ ١٧٢